

دورية إلكترونية - محكمة - ربع سنوية
تأسست غرة جمادى الأول ١٤٢٩ هجرية

متخصصة في الدراسات والبحوث التاريخية

رمضان كريم

داخل العدد ١

- الأصول التاريخية لحركة الحشاشين
- المغرب القديم في العصر الحجري
- عروبة القدس.. الدليل التاريخي
- الصورة الحية للإله آمون
- معركة الجهاد الكبرى
- السـيف



التاريخ يضحك ..!

طرائف من كتب التاريخ

ملف العدد

مكتبة الإسكندرية الملكية

تصدر برعاية



دورية كان التاريخية - السنة الأولى - العدد الأول سبتمبر ٢٠٠٨م / رمضان ١٤٢٩هـ





التاريخ مرآة الأمم

يعكس ماضيها، ويترجم حاضرها، وتستلهم من خلاله مستقبلها، لذا كان من الأهمية بمكان الاهتمام به، والحفاظ عليه، ونقله إلى الأجيال نقلاً صحيحًا، بحيث يكون نبراسًا وهاديًا لهم في حاضرهم ومستقبلهم.

الواقع أن الشعوب التي لا تاريخ لها لا وجود لها، إذ به قوام الأمم، تحيى بوجوده وتموت بانعدامه. ولهذا كانت فكرة تأسيس دورية علمية إلكترونية تاريخية عربية أكاديمية موجهة لطلبة الجامعات العرب و الخريجين منهم و الباحثين و أصحاب الدراسات العليا في فرع التاريخ وهواة القراءات التاريخية في كل أنحاء العالم.



دورية كان التاريخية

- تدعو كل المهتمين بالمحافظة على تاريخ الوطن العربي إثراء هذه الدورية بالموضوعات التاريخية.
- ترحب هيئة التحرير بإسهامات الطلاب والباحثين والكتاب والمتخصصين من مقالات ودراسات وبحوث تاريخية.

حقوق الملكية الفكرية

لا تتحمّل دورية كان التاريخية أيّة مسؤوليّة عن الموضوعات الّتي يتم نشرها في الدورية. ويتحمل الكُتاب بالتالي كامل المسؤولية عن كتاباتهم التي تخالف القوانين أو تنتهك حقوق الملكيّة أو حقوق الآخرين أو أي طرف آخر.

موضوعات الدورية

- الدورية متخصصة في المواضيع العلمية و الأكاديمية البحتة التي تخص طلاب الجامعات العرب و الخريجين منهم وأصحاب الدراسات العليا والباحثين في الدراسات التاريخية والمهتمين بالقراءات التاريخية.
- الموضوعات المنشورة بالدورية تعبر عن وجهة نظر كاتبيها ولا تعبر بالضرورة عن جهة نظر دورية كان التاريخية أو هيئة التحرير.

المراسلات

توجه المراسلات والاقتراحات والموضوعات المطلوبة للنشر باسم رئيس تحرير دورية كان التاريخية على البريد الإلكتروني:

mr.ashraf.salih@gmail.com



ترحب الدورية بنشر البحوث الجيدة والجديدة المبتكرة ذات الصلة بالدراسات التاريخية، مع مراعاة عدم تعارض الأعمال العلمية المقدمة للنشر مع العقيدة الإسلامية، وأن تتسم بالجدّة والأصالة والموضوعية، وتكتب بلغة عربية سليمة، وأسلوب واضح، مع الالتزام بالضوابط التالية:

أولا: نشر البحوث والدراسات العلمية

- تقبل الأعمال العلمية التي سبق نشرها أو التي لم يسبق نشرها أو تقديمها للنشر في دورية أو مطبوعة أخرى.
- اعتماد الأصول العلمية في إعداد وكتابة البحث من توثيق وهوامش ومصادر ومراجع.
- التزام الكاتب بالأمانة العلمية في نقل المعلومات واقتباس الأفكار وعزوها لأصحابها، وتوثيقها بالطرق العلمية المتعارف عليها.
- يجب إدراج الهوامش في شكل أرقام متسلسلة في نهاية البحث، مع مراعاة أن يذكر اسم المصدر أو المرجع كاملاً عند الإشارة إليه لأول مرة، فإذا تكرر يستخدم الاسم المختصر. وعلى ذلك فسوف يتم فقط إدراج المستخدم فعلاً من المصادر والمراجع في الهوامش.
- البحوث والدراسات التي يقترح المحكمون إجراء تعديلات جذرية عليها تعاد إلى أصحابها لإجرائها، أما إذا كانت تعديلات طفيفة فتقوم الدورية بإجرائها.

ثانيا: عروض الكتب

- تنشر الدورية المراجعات التقييمية للكتب (العربية والأجنبية) حديثة النشر أو القديمة.
- أن يعالج الكتاب إحدى القضايا أو المجالات التاريخية المتعددة، ويشتمل على إضافة علمية جديدة.
- أن يعرض الكاتب ملخصا وافيا لمحتويات الكتاب مع بيان أهم أوجه التميز وأوجه القصور.
- ألا يزيد عدد صفحات العرض عن (١٢) صفحة.

ثالثا: عروض الأطروحات الجامعية

- يراعى في الأطروحات (الرسائل) الجامعية موضوع العرض أن تكون حديثة وتمثل إضافة علمية جديدة في أحد الموضوعات التاريخية.
- أن يشتمل العرض على مقدمة لبيان أهمية موضوع البحث.
- ملخص لمشكلة (موضوع) البحث وكيفية تحديدها.
- ملخص لمنهج البحث وفروضه وعينته وأدواته.
- خاتمة لأهم ما توصل إليه الباحث من نتائج.
- ألا يزيد عدد صفحات العرض عن (١٥) صفحة.



رابعا: تقارير اللقاءات العلمية

تنشر الدورية التقارير العلمية عن الندوات والمؤتمرات ذات العلاقة بالدراسات التاريخية التي تعقد داخل جمهورية مصر العربية أو خارجها، ويشترط أن يغطي التقرير فعاليات الندوة أو المؤتمر مركزا على الأبحاث العلمية وأوراق العمل المقدمة ونتائجها، وأهم التوصيات التي يتوصل إليها اللقاء.

خامساً: هيئة التحرير

- تعطى الأولوية في النشر للبحوث والعروض والتقارير حسب الأسبقية الزمنية للورود إلى هيئة تحرير الدورية، وذلك بعد إجازتها تحكيميًا، ووفقا للاعتبارات العلمية والفنية التي تراها هيئة التحرير.
- تقوم هيئة التحرير بالقراءة الأولية للبحوث العلمية المقدمة للنشر بالدورية للتأكد من توافر مقومات البحث العلمي، وتخضع البحوث والدراسات والمقالات بعد ذلك للتحكيم العلمي.
- الحقوق المتعلقة بالأعمال العلمية المنشورة تعود إلى الدورية، ويحق لأصحاب المقالات والأبحاث والعروض والتقارير إعادة نشر أعمالهم في أي دورية مطبوعة أو إلكترونية أخرى.
- تقوم هيئة التحرير باختيار ما تراه مناسبًا للنشر من الجرائد والمجلات المطبوعة والإلكترونية مع عدم الإخلال بحقوق الدوريات والمواقع وذكر مصدر المادة المنشورة.



سادساً: قواعد عامة

- يرفق مع العمل نبذة عن الكاتب تتضمن: الاسم، الدرجة العلمية ،التخصص الدقيق، البريد الإلكتروني.
- صورة شخصية للكاتب للنشر مع المقال (إن أمكن).
- تُرسل كافة الأعمال على البريد الإلكتروني بصيغة برنامج وورد (word).







الافتتاحية

التاريخ: جملة الأحداث والأحول التي يمر بها الفرد والمجتمع والظواهر الطبيعية والإنسانية، وهو ماضي الشعوب والأمم الحالية وما صنعه الأجداد من أعمال وأمجاد منذ آلاف السنين.

هذا هو التاريخ الذي يسخر منه البعض ويقولون عنه ما لا يتفق مع مكانته في ظل التقدم التكنولوجي العالمي، فما الفائدة التي يجنيها العقل بالتعرف على الدولة البيزنطية والعثمانية والحضارة الفرعونية وغيرها!

إن كلمة التاريخ "Histoire" تحمل بداخلها الكثير والكثير المفيد للبشرية، فأعظم ما يقدمه التاريخ من فوائد للمعرفة البشرية يبدو في فهم الحاضر الملموس وإستشراق المستقبل.

الواقع أن اكتساب خبرات الماضي تساعد في بناء الشخصية السليمة، فالتاريخ يعد الذاكرة القومية التي يجب أن تكون كذاكرة الفرد سليمة، فإذا كان الفرد يفقد ذاكرته عندما يلم به المرض فما بالك بالأمة التي تفقد تاريخها وتتعرض للتدهور والضعف.

إننا ندرس التاريخ وتدرسه المجتمعات الإنسانية لكي تطور من حياتها على ضوء تجارب الذين سبقوهم، وهذا ما نوه له السخاوي في كتابه "الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ" فيما نصه :"إن أحسن ما يجب أن يعتني به، ويلم بجانبه بعد الكتاب والسنة معرفة الأخبار، وتقييد المناقب والآثار، ففيها تذكرة بتقلب الدهر بأبنائه، وإعلام بما طرأ في سالف الأزمان من عجائبه وأنبائه".

ويكفي لمعرفة أهمية التاريخ؛ أن تتصور أننا نقطع كل صلتنا ومعرفتنا بالماضي من خلال القضاء على ثمار المعرفة والعلوم بأرشيفات ودور الكتب، وتدمير كافة الآثار العمرانية التي وصلتنا عبر آلاف السنين، فما هي النتيجة المتوقعة بعدها؟!

أشرف صالح





الأصول التاريخية لحركة الحشاشين*



الدكتور/ محمد عثمان الخشت

أستاذ الدين المقارن والمذاهب الحديثة والمعاصرة

كلية الآداب – جامعة القاهرة

ترجع الأصول الأولى لحركة الحشاشين إلى التيار الشيعي في الإسلام – ذلك التيار الذي انقسم إلى فرقتين كبيرتين عند موت الإمام جعفر الصادق الإمام السادس سنة ١٤٨هـ، وقد كان الإمام جعفر قد عهد بالإمامة إلى ابنه الأكبر إسماعيل ولكن مات إسماعيل أثناء حياة أبيه جعفر الصادق، وهنا حدث الخلاف بين الشيعة : هل تنتقل الإمامة إلى محمد بن إسماعيل أم من حق الإمام جعفر الصادق أن ينقلها إلى ابن آخر من أبنائه هو موسى الكاظم ؟

ساقت مجموعة بقيادة ميمون القداح الإمامة إلى محمد بن إسماعيل وقالت ليس من حق الإمام جعفر نقل الإمامة إلى ولد آخر من أولاده ، في حين صرف الإمام جعفر الإمامة بالفعل إلى ابنه الآخر موسى الكاظم . فكان ذلك هو عقد ميلاد فرقتي الشيعة الرئيسيتين : الإسماعيلية ، والاثنا عشرية. فالاثنى عشرية هي التي أيدت إمامة موسى الكاظم ، أما الإسماعيلية بقيادة ميمون القداح فقد ساقت الإمامة إلى محمد بن إسماعيل [1] ولما مات ميمون حوالي ١٩٨هـ ، خلفه ابنه عبد الله في الدعوة إلى أبناء إسماعيل . وكانت الحركة بعد موت إسماعيل قد دخلت في (دور الستر) ، وأخذت تنمو وتتوطد دعائمها الفكرية ، حيث عمل رجالها على تأليف المصنفات التي تنظّر لدعوتهم وتدعوا إليها ، وقد ظهرت في هذه الفترة الغامضة التي امتدت من موت إسماعيل حتى ظهور عبيد الله مؤسس الدولة الفاطمية ، مجموعة رسائل إخوان الصفا التي أشرف على تأليفها الإمام أحمد الأئمة المستورين.

وطوال فترة الستر التي تعاقب فيها ثلاثة من الأئمة المستورين، لم تحقق الدعوة نجاحاً كبيراً إلا بظهور عبيد الله المهدي، الذي يعتبر ظهوره أقصى ما وصلت إليه الدعوة الإسماعيلية من نجاح لا يقاس به إلا نجاح الدعوة الأولى في تصدع الخلافة الأموية .

ويرجع قسط غير قليل من هذا النجاح إلى الجهود الشخصية التي بذلها كبير الدعاة أو عبد الله الحسين الشيعي من أهل صنعاء اليمن . وهو الذي أعلن نفسه – في نهاية القرن الثالث الهجري – مبشراً بظهور المهدي ، وتمكن من غرس بذور الثورة بين قبائل البربر في شماله إفريقية ، وخاصة قبيلة كتامة . وترجع بداية معرفته بأفراد هذه القبيلة إلى موسم الحج في مكة، وكانت إفريقية في ذلك الوقت تحت حكم الأغلبية.

ثم انتقل أبو عبد الله إلى تَازَرُوت قرب بجاية في المغرب الأوسط في إقليم القبائل الحالي، واتخذها حصناً ومعسكراً يعد فيه القوة العسكرية اللازمة للقضاء على الدولة الأغلبية في إفريقية وإقامة دولة الفاطمية مكانها.وعندما سمع سعيد بهذا النجاح الباهر الذي حققه كبير دعاته في تلك المنطقة البعيدة ، عزم على أن يترك المقر الأصلي للإسماعيلية في سلمية ، وأن يسير متنكراً في ثياب تاجر إلى الشمال الغربي من إفريقية.

---

(١) ينفى معارضو الإسماعيلية تسلسل أى من الإئمة المستورين بين الإمام إسماعيل ويقولون : إنه لم يعقب ولداً وأن محمداً لم يكن ابنه وإنما هو (عبد الله) بن ميمون القداح الذي نسبه ميمون إلى إسماعيل وسماه محمداً. وهما ادعاءات أخرى متعددة غير ذلك. والواقع أن حسم هذه المسألة من الصعوبة بمكان إن لم يكن مستحيلاً لأن دخول الحركة فى تلك الفترة الغامضة المعروفة بـ [دور الستر] يجعل كل الاحتمالات ممكنة لا سيما وأن المؤرخين قد اختلفوا اختلافاً واسع النطاق حول هذه المسألة : ولكل منهم أدلتهم وبراهينه .

* إعداد/ هيئة التحرير نقلاً عن:

محمد عثمان الخشت، حركة الحشاشين:تاريخ وعقائد أخطر فرقة سرية في العالم الإسلامي. – القاهرة:مكتبة ابن سينا،١٩٨٨ .



وعند وصوله أمر زيادة الله الأغلبى بالقبض عليه وسجنه في سجلماسة. ولكن أبا عبدالله الشيعى نجى سعيداً ، واستطاع في سنة (٢٩٧ هـ = ٩٠٩م) أن يحطم دولة الأغالبة التي ظلت تحكم زهاء قرن وأن يطرد آخر سلالتها زيادة الله من البلاد. وقد كان الأغالبة آخر من يمثل الإسلام السنى في شمالى إفريقية . ولقد أعلن سعيد نفسه حاكماً على تلك البلاد واتخذت لقب الإمام عبيد الله المهدي وقبله الناس على أساس أنه من سلالة فاطمة عن طريق الحسين ثم إسماعيل .

نسب الفاطميين :

ويشار غالباً إلى الأسرة الحاكمة التي أسسها سعيد باسم العبيدية، لا سيما من أولئك الذين لا يؤمنون بصحة نسبه. فمن المعروف أن المؤرخين يختلفون حول صحة تسلسل الفاطميين من فاطمة، ويوجد في كتب التاريخ ما لا يقل عن ثمانى سلاسل نسب مختلفة يلحقه بها أنصاره وخصومه . ومما هو جدير بالذكر أن الخلاف على صحة نسب الفاطميين لم يقم إلا في سنة (٤٠٢هـ = ١٠١١م) عندما أصدر الخليفة العباسى القادر منشوراً غريباً أمضاه كثير من علماء أهل السنة وأعلن فيه ديصان الملحد . ومن بين المؤرخين الذين يتشككون في صحة نسب الإمام سعيد أو ينكرونها : ابن عذارى ، وابن تغرى بردى، وابن خلكان ، والسيوطى . أما الذين يؤيدون صحة نسبه فكثيرون ، منهم : ابن الأثير ، وابن خلدون ، والمقريزى .

عبيد الله كحاكم قوى:

مهما يكن من أمر فقد أقام عبيدالله نفسه نفسه أولاً في رقادة مقر الأغالبة وهى ضاحية من ضواحى القيروان. وقد أثبت أنه من أقوى الحكام ، فلم تمر سنتان على تمتعه بالسلطة حتى قتل كبير دعاته الحسين الشيعى ، ثم وجه جيوشه لفتح سائر بلاد المغرب، على أمل الخروج من المجال الضيق الذى وجد نفسه فيه ، وقد ساعده على ذلك ما كان تحت يديه من قبائل بربرية ضخمة متطلعة إلى الغازات والمغانم وفرض السلطان ، فإلى شرقى منازل كتامة – وكانت جذماً ضخماً يضم عدداً كبيراً من القبائل – كانت هناك قبائل صهاجة المغرب الأوسط ، وكانت أعدادهم أكبر من أعداد كتامة، فاصطنع عبيد الله المهدي واحداً من أكبر زعمائهم وهو مصالة بن حبوس ، وسلّطه على بقية المغرب الأوسط، وكانت تسكنه قبائل زناتية أكبرها مغراوة وبنو يفرن، فحمل الصنهاجيون عليها ودفعوها إلى الغرب، واستعانت القبائل الزناتية في محنتها ببنى أمية الأندلسيين ، ووصل مصالة بن حبوس تابع الفاطميين بمن معه من الصنهاجيين إلى المغرب الأوسط، وغلبوا الأدارسة ودخلوا فاس، وولى مصالة عليها رجلاً من أنصاره وهو موسى بن أبى العافية . وتقدمت أمداد الأمويين الأندلسيين لعون الأدارسة وبنى خزر الزناتيين، واشتعل المغرب كله ناراً نتيجة لتلك التوسعات الفاطمية .

من جهة أخرى ، فإن في سنة (٣٠٢هـ = ٩١٤م) استولت جيوش المهدي على الإسكندرية ، وبعد ذلك بعامين اكتسح كل الدلتا . ثم أرسل من قبيلة كتامة حاكماً جديداً إلى صقلية ، وكون علاقات صداقة مع الثائر ابن حفصون في الأندلس. وقد شعرت جزائر مالطة وسردينية وقروسيقة وجزائر البليار وغيرها من الجزائر بقوة أسطوله الذى ورثه عن الأغالبة . وفي حوالى (٣٠٩هـ = ٩٢٠م) اتخذ مقامه في غاصمته الجديدة "المهدية " التي أسسها على ساحل تونس على بعد ستة عشر ميلاً من الجنوب الشرقى للقيروان وأطلق عليها اسمه .

وخلال تلك الفترة أقامت الدولة الجديدة تنظيماً واسعاً للدعوة الشيعية الإسماعيلية ، فلم تجد دعوتهم صدى إيجابياً ؛ حيث نفر منهم أهل إفريقية نفوراً شديداً بسبب تمسكهم البالغ بالمذهب السنى المالكى يتزعمهم في ذلك فقاؤهم . ومنذ البداية اتضح لعبيد الله المهدي أن إفريقية لن تكون أبداً مهداً وثيراً لدولته الفاطمية الإسماعيلية ، وبدأت في أيامه المعركة الطويلة بين السنية المالكية والشيعية الإسماعيلية على أرض إفريقية ، وهى معركة طويلة وعنيفة، استمر المغرب يعانى منها طوال الفترة الفاطمية فيه .

خلفاء عبيد الله:

وقد اتبع أخلاف عبيد الله سياسة التوسع التي بدأها هو . فأما ابنه أبو القاسم محمد القائم المتوفي سنة (٣٣٤هـ = ٩٤٦م) فإنه أرسل أسطولاً يغزو السواحل الجنوبية لفرنسا، واستولى على جنوة ، وسار على طول ساحل قلورية يغزو ويحمل معه الأسرى



والغنائم ، ولكن هذه الحملات مع ذلك لم تؤد إلى غزو دائم. وبعد أن تغلب الفاطميون في أواخر خلافة ثالثهم أبي طاهر إسماعيل المنصور الذى حكم من وفاة القائم حتى سنة (٣٤١هـ = ٩٤٦م) على ثورة الخارجى أبي يزيد مخلد بن كيداد التي كادت تودى بدولتهم، بعد ذلك اتجهوا بأنظارهم إلى مصر، وقد شجعهم على ذلك ضعف الدولة الإخشيدية من ناحية ، والمتاعب والأزمات والتوترات التي كانت تواجههم في دول المغرب من ناحية أخرى.

ولكن قبل أن يركزوا جهودهم في السيطرة على مصر، وفي عهد الخليفة أبي تميم معد المعز ، استطاع الأسطول الفاطمى أن يغزو سواحل الأندلس التي كان خليفتها آنئذ الناصر العظيم . وبعد ذلك بفترة وجيزة تقدم الجيش الفاطمى ناحية الغرب حتى وصل إلى المحيط الأطلنطى الذى أرسل قائد الجيوش بعض أسماكه الحية في قدور للخليفة .

فتح مصر :

وبعد ذلك ركز الخليفة المعز لدين الله جهوده في محاولة السيطرة على مصر حتى تم له ذلك على يد قائده جوهر الصقلى. وكان جوهر الصقلى هذا ، ويلقب أيضاً الرومى، مسيحى النشأة ولد في مقاطعة بيزنطية لعلها صقلية، وبيع بعد ذلك في القيروان. وفي الحال بعد أن دخل جوهر العاصمة "الفسطاط " منتصراً في سنة ٣٨٥هـ ابتدأ يضع أساس المدينة العظيمة " القاهرة " التي سُميت كذلك نسبة إلى الكوكب السيار " قاهر الفلك " أى المريخ الذى كان إذ ذاك في صعود . وقد أصبحت القاهرة عاصمة الدولة الفاطمية سنة (٣٦٢هـ = ٩٧٣م)، وبعد تأسيس القاهرة أسس جوهر الصقلى الجامع " الأزهر " نسبة إلى الزهراء أحد ألقاب السيدة فاطمة بنت النبى ﷺ . وبذلك أصبح جوهر الصقلى – بعد أبي عبدالله الحسين الشيعى – المؤسس الثانى للإمبراطورية الفاطمية التي صارت الآن تضم كل شمالى إفريقية.

وعندما رأى الخليفة المعز لدين الله أقدام جيوشه بقيادة جوهر تتوطد في مصر عزم على نقل مقر خلافته إلى القاهرة . وقبل أن يغادر القيروان استخلف مكانه على المغرب بكلين بن زيرى بن مناد الصنهاجى أكبر زعماء صنهاجة المغرب الأوسط. وقد بادر جوهر منذ دخوله مصر بإرسال أحد كبار قواده واسمع جعفر بن فلاح ، إلى بلاد الشام ، وقد وصل ذلك القائد في سنة (٣٥٩هـ = ٩٦٩م) إلى دمشق واحتلها احتلالاً مؤقتاً. أما غربى شبه الجزيرة العربية فقد ورثه الفاطميون عن الأخاشدة الذين كانوا يتولون أمر حراسة مكة والمدينة. وفي تلك الأثناء برز أمام الفاطميين عدو لدود هم القرامطة الذين كانوا يسيطرون على إقليم الإحساء وجزيرة البحرين، وقد كانت علاقاتهم مع الفاطميين في أول أمرهم علاقات صداقة، فلما أصبح الفاطميون خلفاء مصر انقلب عليهم القرامطة بسبب التصارع على مناطق النفوذ وتعارض المطامح.



عهد أبي منصور نزار العزيز بالله:

و لم يطل عمر المعزى لدين الله في مصر فقد توفي في سنة (٣٦٥هـ = ٩٧٥م) ، وكانت فترة حكمه لمصر سنتين وتسعة شهور هجرية ، أثبت فيها أنه من أقدر الخلفاء الفاطميين الذين حكموا مصر إن لم يكن أقدرهم على الإطلاق. وتولى الحكم بعده أبو منصور نزار العزيز الذى وصلت الدولة الفاطمية في عهده إلى آوجها ؛ فكان اسم الخليفة يذكر في خطب الجمعة في جميع المساجد من المحيط الأطلنطى إلى البحر الأحمر واليمن ومكة ودمشق ، بل في الموصل ذات مرة . ويمكن القول إن حكمه الاسمى – على الأقل – كان يمتد فوق هذه المساحة . وقد وصلت الخلافة المصرية في عهده إلى حد أنها أصبحت المنافس الخطير الأول للخلافة العباسية في بغداد . وذهب به التفكير إلى حد أنه أنشأ مبنى ضخماً في القاهرة كلفه ألفي ألف دينار ليأوى فيه منافسيه العباسيين الذين كان يأمل في القبض عليهم بعد الاستيلاء على بغداد . ولقد حذا حذو سابقيه فألقى نظرة طمع على بلاد الأندلس البعيدة ولكنه لم يستطع ضمها .

ويتميز عهد العزيز بالاهتمام الشديد ببناء كثير من المساجد والقصور والترع والجسور ، كما لاقى المسيحيون في ظل حكمه قسطاً من التسامح لم يظفروا بمثله من قبل، وذلك بتأثير وزيره المسيحى عيسى بن نسطور وزوجته أم ولده الحاكم التي كانت أختاً لبطريقين ملكانيين.



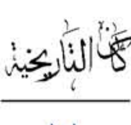
ورغم ازدهار الخلافة الفاطمية في عصره إلا أن أحد أسباب تدهورها فيما بعد كان هو المسئول عنه؛ ذلك لأنه كان أول خليفة فاطمة ابتدأ يتبع العادة العباسية التي كانت خطرة على سياسة الدولة، تلك العادة المتمثلة في استيراد الجند المرتزقة من الترك والسودان . وكان عدم خضوع أولئك الجند ومشاجراتهم المستمرة بعضهم مع بعض أو مع الحرس البربرى من أكبر الأسباب التي أدت إلى سقوط الدولة النهائى فيما بعد. وكان الجند الشراكسة والترك ومن معهم من العبيد هم . الذين اغتصبوا في آخر الأمر السلطة التامة وأسسوا لهم دولة مستقلة .

عصر الأساطير والتنافس : الحاكم بأمر الله:

وبعد وفاة العزيز سنة (٣٨٦هـ = ٩٩٦م)، خلفه ابنه الحاكم بأمر الله وعمره إحدى عشرة سنة . وتشتمل فترة حكمه على متناقضات عجيبة : يأمر بالشئ ثم يعاقب عليه ، ويعلى مرتبة الوزير ثم يقتله ، ويبنى المدارس وينصب فيها الفقهاء ثم يهدمها ويقتل فقهائها. وتتباين أقوال المقيمين له تبايناً عظيماً ، فمنهم من يتحدث عنه كعبقرى ، بل وكإله ! ومنهم من يعتبره مختل العقل مستهتراً سفاكاً للدماء.

وخلاصة الانطباع الذى يستطيع المرء أن يكونه بعد استقراء فترة حكمه والتأمل في أحداثها تتمثل في أن الحاكم كان لغز عصره، وتعد شخصيته مثالاً نموذجاً للخلفاء والغموض والتناقض ، و لم تكن مظاهر الغموض والتناقض التي تنتاب هذه الشخصية الغريبة في كثير من المواطن ، لتحجب مظاهر القوة المادية والمعنوية التي تتمتع بها في أحيان كثيرة . بيد أن الخلفاء والغموض يغمر هذه المظاهر جميعاً ، سواء في فترات قوتها أو ضعفها . وكان هذا الخفاء والغموض المروع يصب الحاكم في حياته الخاصة وفي تصرفاته العامة ، في أقواله وفي أفعاله . وأى خفاء وغموض أشد من ذلك الذى تنفثه حولها ، شخصية ترتفع في سماء التفكير حتى لتزعم السمو فوق البشر وتهيم في دعوى الألوهية ، ومع ذلك تنحط في كثير من نزعاتها وتصرفاتها إلى نوع من الشذوذ بل الجنون الغامض ؟!

وقد انتهت فترة حكمه باختفائه في إحدى الليالى سنة (٤١١هـ = ١٠٢١م)، وتذكر بعض الروايات أنه وجد مقتولاً فوق سفح المقطم ، ويقال : إن رجلاً اغتاله غيره لله وللإسلام بعد ادعائه للإلوهية وتنكيله بمصر وأهلها . لكن بعض المؤرخين يذكرون أنه اختفي نتيجة لمؤمرة دبرتها أخته ست الملوك التي اتهمها الحاكم في عرضها ، فدست له رجلين اغتالاه وأخفيا أثره . وأعلن أحد دعاته ويدعى حمزة أنه " احتجب وسيعود لنشر الإيمان بعد الغيبة " !!



الظاهر لإعزاز دين الله:

بعد رحيل الحاكم بأمر الله تولى الخلافة ابنه الظاهر لإعزاز دين الله سنة (٤١١هـ) بعهد من أبيه الحاكم ، وكان في السادسة عشرة من عمره ، وكانت عمته " ست النصر " أخت الحاكم هى القائمة بأمور الدولة لصغر سنه ، واستمرت إلى أن توفيت سنة (٤١٥هـ) . وقد اضطربت أحوال الديار المصرية والبلاد الشامية في عصره ، وتغلب حسان بن مفرح الطائى شيخ عربان جبل نابلس على أكثر الشام . ودامت دولة الظاهر قرابة ستة عشر عاماً . وكان محباً للعدل ، فيه لين وسكون مع ميل إلى اللهو ؛ مما أعطى الفرصة لوزرائه أن تكون السلطة الحقيقية بأيديهم . وقد تمكن من إنشاء علاقات ودية مع قسطنطين الثامن ، واتفق معه على أن يذكر في المساجد الواقعة في ممتلكات الإمبراطور وأن يصلح مسجد القسطنطينية في نظير أن يسمح الظاهر بإعادة بناء كنيسة القيامة أو القبر المقدس.

عهد المستنصر:

وبوفاة الظاهر سنة (٤٢٧هـ = ١٠٣٦م) اعتلى به المستنصر العرش، وكان في الحادية عشرة من عمره، ويعتبر حكمه البالغ زهاء ستين سنة أطول حكم حكمه خليفة في التاريخ الإسلامى ، وهو الخليفة الفاطمى الذى قابل فيما بعد الحسن الصباح مؤسس حركة الحشاشين عند زيارته لمصر وأخذ عليه العهد والولاء له وكلفه بالدعاية الإسماعيلية في بلاد فارس، وعندما سأله الحسن : من إمامى بعدك؟ قال له المستنصر : ابنى نزار .. إلى آخر تلك التفاصيل التي سنذكرها في حينها عند الحديث عن نشأة حركة الحشاشين وتطورها .

وفي الشطر الأول من حكم المستنصر كان يقوم بأمره وزير أبيه أبو القاسم على بن أحمد الجرجرائى . ثم تغلبت أمه على الدولة ، وهى أمة سودانية اشتريت من يهودي ، فكانت تتمتع هي ومن باعها بأعظم النفوذ ، وكانت تصطنع الوزراء وتوليهم ، ومن استوحشت منه أو عزت بقتله ، فيقتل.وفي عهده بدأت الممتلكات الفاطمية تتقلص ، وبعد سنة ١٠٤٣م ابتدأت الممتلكات الفاطمية التي كانت دائماً ضعيفة الارتباط بمصر تنفصل عن الدولة بسرعة ، وكانت فلسطين دائمة الثورات. ثم ظهرت قوة كبيرة في الشرق، تلك هي قوة التركمان السلاجقة الذين أخذوا يتطلعون إلى آسيا الغربية وقتئذ . وفي نفس الوقت كانت المقاطعات الإفريقية التابعة للفاطميين تنفصل وتمتنع عن دفع الجزية، وتعلن استقلالها أو تعترف بطاعتها القديمة للعباسيين.

أما القبائل العربية المشاغبة من بنى هلال وسليم ، التي كانت في الأصل من نجد وأصبحت آنئذ في الصعيد ، فقد حُرضت في سنة ١٠٥٢م على أن تتحرك إلى الغرب وتغزو لعدة سنوات متوالية طرابلس وتونس. أما صقلية التي كانت خاضعة للأغالبة ثم اعترفت بعد القضاء عليهم بنفوذ الفاطميين وخضعت لهم، فإنها في سنة ١٠٧١م قد أخضعها النرمنديون الذين لم يكتفوا بالاستيلاء عليها بل اكتسحوا بعض الأجزاء من إفريقية نفسها.

وبعد هذا التقلص السريع لنفوذ الفاطميين خارج مصر، لم يبق مخلصاً لقضية الشيعة إلا بلاد العرب وحركة ألموت (= حركة الحشاشين) في فارس بقيادة حسن الصباح. ولم يلمع في ذلك الأفق المظلم إلى شعاع واحد من الضوء، ذلك هو النجاح المؤقت الذى أصابه في بغداد القائد التركى والمغتصب المسمى البساسيرى، الذى أجبر الخليفة العباسى القائم على التنازل عن حقوقه في الخلافة لمنافسه الفاطمى المستنصر . وكان يذكر اسم المستنصر في المساجد الواقعة في منطقة نفوذه في بغداد مدة أربعين جمعة متتابعة . ولنا وقفة أخرى مع هذه الحادثة لنبين كيف استطاع القائد السلجوقى طغرل أن يعيد الأمور إلى نصابها .

الحالة الداخلية لمصر في عهد الفاطميين :

هذا عن الحالة الخارجية للدولة الفاطمية ، أما الحالة الداخلية في مصر نفسها ؛ فقد كانت المتاعب والقلاقل مستمرة بسبب النزاع بين فرق الأتراك والمغاربة والسودانيين مما أدى إلى شل سلطة الحكومة. ثم كانت سبع سنوات عجاف، فأرهقت الموارد الاقتصادية في البلاد . وفي سنة ١٠٧٢م أرسل الخليفة المستنصر المتردد القلق يستدعى بدراً الجمالى الأرمنى — الذى كان من الموالى السابقين ، وكان في ذلك الوقت الحاكم العسكرى لعكا — ليكون وزيراً وقائداً أعلى . وتولى أمير الجيوش الجديد الإمرة بما أوتى من قوة حتى أنه حول تلك الفوضى الظاهرة إلى نظام ، ومنح الدولة الفاطمية أمداً جديداً للحياة . ولكن أصبح الخليفة الفاطمى نفسه كالمحجور عليه بسبب ما كان يتمتع به بدر من قوة ونفوذ وسيطرة ، حتى أنه لم يستطع أن يفعل شيئاً عندما اضطهد الوزير الداعية حسن الصباح عند وجوده في مصر.

ولكن هذا التجديد والإحياء لم يدم طويلاً ، ولم تفلح جهود بدر ولا جهود ابنه وخلفه الملك الأفضل في إيقاف تيار التدهور الآخذ في الأزدياد ، وكان الأفضل يمارس سلطة كاملة بعد وفاة أبيه. ولما مات المستنصر سنة (٤٨٧هـ = ١٠٩٤م) وضع الملك الأفضل على العرش أصغر أبناء الخليفة وسماه المستعلى بدلاً من نزار الابن الأكبر الذى كان له الحق الشرعى في الخلافة . ومن هنا انقسمت الاسماعيلية الفاطمية قسمان : الإسماعيلية المسعلية ، والإسماعيلية النزارية التي تنتمى إليها حركات ألموت .

وعند موت المستعلى نادى الأفضل بطفل للخليفة لا يتجاوز الخامسة من عمره، ومنحه - كخليفة — ذلك اللقب الضخم " الآمر بأحكام الله " الذى تمكن فدائى ألموت من اغتياله. ثم تولى الحافظ بعد الحكم من سنة ١١٣٠ إلى ١١٤٩م وكان سلطانه لا يعدو قصر الخلافة. أما ابنه وخلفه الظافر الذى حكم من ١١٤٩ إلى ١١٥٤م فإنه كان في ذلك الوقت شاباً مرحاً ، وانتقلت كل السلطة إلى يد الوزير الكردى ابن السلار الذى كان يلقب بالملك العادل. وتدل المذكرات التي تركها المؤرخ أسامة الذى عاش فيما بينستى ١١٤٤ و ١١٥٤م في البلاط الفاطمى — على أن المؤامرات والخصومات والتحاسد الذى كان قائماً لم يكن له نظير في أى بلاط آخر .



وليس من شك أن مقتل ابن السلار سنة (٥٤٨هـ = ١١٥٣م) على يد حفيد زوجته نصر بن عباس الذى شجعه الخليفة فيما عبد على أن يقتل أباه عباس بن السلار الذى خلفه في الوزارة ، وكذلك مقتل الظافر المصحوب بالغموض على يد ذلك المتآمر الصغير – كل ذلك يعرض أمامنا صفحة سوداء في تاريخ مصر السياسى . وفي اليوم التالى لمقتل الخليفة الفاطمى الظافر نادى العباس بابنه الذى كان لا يتجاوز الرابعة من عمره خليفة أعطاه لقب الفائز ، وقد مات هذا الخليفة الطفل وهو في الحادية عشرة من عمره ، تلاه سنة (٥٥٦هـ = ١١٦٠م) ابن عم له عمره تسع سنوات وهو الخليفة العاضد الرابع عشر من خلفاء هذه الدولة التي حكمت أكثر من قرنين ونصف قرن من الزمان.

وكان مما يزيد في تعاسة الشعب المصرى الذى كان يعتمد في حياته وإقامة أوده على فيضان النيل – تلك المجاعات والأوبئة المتكررة التي كانت تصيب البلاد الفترة بعد الأخرى ، وكان نتيجة ذلك ازدياد الضرائب على الشعب وتعرضه للاغتصاب حتى يشبع جشع الخلفاء وجهودهم. وقد زاد الأمور تعقيداً مجئ الصليبيين وهجمات أملريك ملك بيت المقدس الذى وصل إلى داخل البلاد حتى وقف سنة (٥٦٢هـ = ١١٧١م)، بجوار أبواب القاهرة نفسها .

إن كل الأمور قد وضع لها صلاح الدين حداً نهائياً بعزله لآخر خليفة فاطمى في (المحرم سنة ٥٦٧هـ = سبتمبر ١١٧١م)، وأسقط الخطبة على المنابر للخليفة الفاطمى وأقام الخطبة للخليفة العباسى على منبر الأزهر ثم بقية منابر مصر. وبذلك انتهت الدولة الفاطمية الإسماعيلية ، وبمجرد سقوطها زال كل أثر شيعى من الساحة المصرية على المستوى الفكرى والاجتماعى والدينى.

هل حققت الدعوة الإسماعيلية انتصارات عقائدية في عهد الفاطميين ؟

كان ذلك في افريقية ومصر حيث نجحت الحركة في تشييد دولتها ، وأخفقت في نشر فلسفتها وتعميم عقيدتها. ولا شك أن هذه مفارقة تلفت النظر وتدعو للتساؤل: لماذا فشلت الدعوة الإسماعيلية في تدعيم عقيدتها في تلك البلاد رغم نجاحها السياسي الذي لم تستطع أن تحققه من قبل ، لدرجة أن كل أثر فكرى من آثارها زال معها عند زوالها السياسي ؟

لماذا كانت العقيدة الإسماعيلية غائبة ، وفي لحظات الحضور كان حضورها حضوراً مغترباً ؟

لقد نجحت الحركة الإسماعيلية في تأسيس دولتها سنة ٢٩٦هـ بافريقية (=تونس) في مجتمع قبلي صحراوي وشبه صحراوي (سجلماسة – القيروان) سبق للإسلام أن " مسح الطاولة " فيه مسحاً ، مجتمع تبنى الإسلام السنى كما نشره " السلف " الفاتحون .

إذن كان من الطبيعي أن يقتصر الدعاة الإسماعيليون في نشاطهم الفكري الديني بافريقية والمغرب على " الظاهر " وأن يركزوا على الجانب السياسي التنظيمي باستثمار سخط السكان على الولاة والاعتماد على التحالفات القبلية . وإذا وضع المرء في اعتباره أن السلطة العباسية لم تكن مباشرة على هذه المنطقة ، إذ قامت هناك دولة الأغالبة ، وهى دولة صغيرة ضعيفة – تبين له أن نجاح الدعاة الإسماعيليين كان نجاحاً سياسياً بالدرجة الأولى ، وأن الدولة الإسماعيلية التي ستجسم هذا النجاح لم تختلف في وضعيتها الاجتماعية والسياسية والقانونية عن وضعية الدول الأخرى التي شهدتها المنطقة من قبل ؛ وبالتالي فإن الأيديولوجية الإسماعيلية بدت غائبة ، وفي لحظات الحضور كان حضورها حضوراً مغترباً .

وهذا لم يحدث فقط في إفريقية (= تونس) مهد الدولة الإسماعيلية ، بل إن نفس ما حدث أيضاً في مصر قاعدة حكمها ومركز حضارتها لمدة تزيد على قرنين من الزمان .. إنها لم تستطع أن تحول انتصارها السياسي إلى انتصار عقائدي ، لا في القيروان ولا في القاهرة.

ذلك رغم انتشار مدارس الدعوة التي أنشأها عبيد الله المهدي مؤسس الدولة في عاصمته المهدية بتونس ، والتي انتقل منها حفيده المنصور إلى المنصورية بتونس أيضاً، ورغم انتشار مدارس الحكمة التي أنشأها الخلفاء الفاطميون في مصر، ولاسيما في القاهرة قاعدة خلافتهم منذ الخليفة المعز لدين الله، أي منذ سنة ٣٦٢هـ ، إلى أن سقطت دولتهم على يد صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٧هـ وعودة الخلافة العباسية إليها – رغم انتشار هذه المدارس التي كانت ترعاها الدولة وتحرص على جعلها مراكز إشعاع فكرى وتكوين



ايديولوجى، فإن العقيدة الإسماعيلية في افريقية ومصر لم تستطع أن تتجاوز حلقات كبار الدعاة الذين كانت مناقشاتهم في العقيدة والمذهب على المستوى الفلسفي تكاد لا تتعدى جدران مدارس الحكمة و "دار العلوم" المخصصة لهم داخل قصر الخلافة.

وهكذا ظلت الساحة الثقافية في مصر والمغرب العربي تحت النفوذ السني الضمني أو الصريح . وبمجرد سقوط الدولة الفاطمية زال كل أثر شيعي من الساحة المصرية، الاجتماعية والفكرية. أما في بلدان المغرب العربي فلقد كان الولاء للدولة الفاطمية، بعد رحيلها إلى مصر سنة ٣٦٢هـ، ولاءً سياسياً لا غير، وفي معظم الأحوال كان ولاءً اسمياً فقط. ومعلوم أن الحضور الفاطمي في المغرب العربي قد انتهى، حتى في صورته الاسمية تلك، في العقود الأولى من القرن الخامس الهجري أي قبل سقوط الدولة الفاطمية بما يقرب من قرن ونصف قرن.

المصادر والمراجع

- ابن الأثير ، على : الكامل في التاريخ ، طبعة مصر ، ١٣٠٣هـ .
- ابن حزم ، أبو محمد على بن أحمد : الفصل فى الملل والأهواء والنحل . مكتبة خياط : بيروت [د. ت].
- ابن محمد الوليد ، على : تاج العقائد ومعدن الفوائد ، تحقيق عارف تامر . دار المشرق، بيروت ، ١٩٦٧م.
- أملى ، شيخ سيد حيدر : جامع الأسرار ومنبع الأنوار ، تحقيق : هنرى كوربان وعثمان يحيى . طهران ١٩٦٩م .
- البغدادي ، عبد القاهر : الفرق بين الفرق، تحقيق : محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا . القاهرة، ١٩٨٨م .
- جمال الدين، محمد السعيد : دولة الإسماعيلية فى إيران ، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٧٥م .
- حسن ، حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، دار إحياء التراث العربى . بيروت .
- عاشور ، سعيد عبد الفتاح : الحركة الصليبية ، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٣م.
- عنان ، محمد عبدالله : الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، مكتبة الخانجى. القاهرة .
- غالب ، مصطفى : تاريخ الدعوة الإسماعيلية ، دار الأندلس . بيروت ، ١٩٧٩م.
- الغزالى، أبو حامد : فضائح الباطنية ، تحقيق : عبدالرحمن بدوى، مؤسسة دار الكتب الثقافية . الكويت.



المغرب القديم في العصر الحجري

نهى محمد نصر الدين أحمد

الفرقة الرابعة – كلية الآداب
قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية
جـــــامعــة الإسكنـــــدريــة
spirit-love-N@hotmail.com

مرت منطقه المغرب القـــديم – أو الشـــمال الأفريقـــي – كغيرها من مناطق الشرق الأدنى بعصور ما قبل التاريخ في مراحله المختلفة من العصر الحجري القـــديم الأســـفل إلى الأوسط فالأعلى ، ثم بمرحله العصر الحجري الحديث و قد استمرت هذه المراحل من الناحية الزمنية حوالي ١٢٠٠قبل الميلاد ، طبقا للمصادر الكلاسيكية و قد أرجعتها الأدلـــة الفينيقية الأولى إلى القرن الثامن قبل المـــيلاد . و ينقســـم العصر الحجري القديم إلى ثلاث أزمنة :-

أولا:- العصر الحجري القديم الأسفل.

ثانيا:- العصر الحجري القديم الأوسط .

ثالثا :- العصر الحجري القديم الأعلى.

يرى الباحثون في حضارة العصر الحجري القديم الأسفل أن آثار موقع "عين حنش " بمنطقه سطيف في الجزائر تمثل أقدم جهد إنساني في صناعة الأدوات الحجرية في شمال أفريقيـــا، وذلك أثر العثور على قطع حجريه من الحجـــر الجـــيري يقترب شكلها من الشكل الكروي وتتميز بكثرة أضلاعها و زواياها، غير أن الاتجاه الحـــديث يـــذهب إلى موقـــع " عرباوه " في شمال سهول المغـــرب و " دوار الـــدوم " في محاورات العاصمة المغربية " الرباط ".

و السبب في ذلك أن هذه المواقع إنما تمثل جهدا صـــناعيا أكثر قدمًا من الكرات الحجرية المنتمية إلى " عين حنش " ، وبالتالي فإنها تمثل أقدم أثار صنعها الإنســـان في المغـــرب الكبير في أقدم عصوره، هذا فضلاً عن أنه قد عثـــر علـــى موقع في الجزائر ينتمي لهذه المرحلة حيث كُشف فيه عـــن طبقه أثرية تمثل حضارة الحصى المشذب.

و قد تميزت حياه الإنسان الاقتصـــادية في هـــذه المرحلـــة بالجمع والالتقاط، و لذا فان استقراره في الكهوف و حول العيون والآبار والأودية كان استقرارا مؤقتا، فسرعان مـــا ينتقل إلى مكان آخر يبحث فيه عن طعام جديد. و قد نجح هذا الإنسان الأول في بداية تطوير حياته بصـــنعه الآلات الحجرية الأولى كالفؤوس اليدوية.

بقيت الإشارة إلى أن النعام هو الطائر الوحيد الذي تأكـــد وجوده أثريًا في مرحلة العصر الحجري القديم الأســـفل و الأوسط في المغرب، ومن المعروف أن طبقات عصور مـــا قبل التاريخ الأثرية في المغرب لم تكد تخلو واحده منها من بيض النعام أو قشوره.



وقد اكتشف إنسان العصر الحجري القديم الأسفل عـــدداً من التجارب دفعته إلى الانتقال إلى العصر الحجري القديم الأوسط والتي تظهر بوضوح في صناعة الأدوات الحجرية، وخاصة في صناعة الشظايا والتي كانت تتطلـــب تـــدريبا طويلاً، يظهر ذلك في عمليات ضرب الحجر في زوايا معينة مما ينتج عنه هذه الشظايا المتميزة بحدتها.

و قد عُثر على عدد من المواقع الأثرية تتضمن آثــار مــن مرحلة العصر الحجري القديم الأوسط ، في بلاد الشــمال الأفريقي، من ليبيا شرقا، وحتى المحيط الأطلسي غربا.

ويطلق العلماء على هذه المرحلة الحضارية من عصور مـا قبل التاريخ اسم الحضارة " العاتريه" نسبة إلى موقع " بئـر العاتر" في وادي جبانة قريباً من قسطنطينية في الجزائر،على الحدود بينها و بين تونس، و قد تم أيضاً العصــور علــى الصناعة العاتريه من قبل بعض الباحثين.

و قد وجدت العاتريه بمظهرها الصميم في كثير من المواقــع والطبقات الأثرية في جميع أنحــاء المغــرب، فوجــدت في الرسومات السطحية لوادي جبانه ووادي جوف الجمــل وكاف الأحمر ووادي سرديس، وفي رمال جبل عــواش، وفي رواسب الرمل الأحمر على طول الساحل الجزائري في كارويه وضواحي بترت وغيرها.

ويبدو أن الإنسان في هذا العصر، قد استعمل بجانب الحجر الأخشاب و الجلود و العظام و بيض النعام أو قشوره، كما بدأ يدرك حقيقة وجود قوى خفيــه تــتحكم في الحيــاة الإنسانية والحيوانية والنباتية والطبيعية، وأراد تجسيم هــذه القوى في أماكن معينة لكي يحاول استرضــاءها ضــماناً لحمايته و مصيره.

وقد اختلف الباحثون حول المناخ الذي ســاد الشــمال الأفريقي إبان عصر الحضارة العاتريه، فريق يرى أن المناخ كان رطبا حاراً، وآخر يرى أنه كان جافا، و من يحــاول التوفيق بين الاتجاهين يذهب إلى أن المناخ إنما كان وقــت ذاك يتميز بالرطوبة الشديدة، مع انخفاض قليل في درجــة الحرارة.
وعلى أيه حال فالرأي عند " كاتون طمسون " أن موقــع الخنزيره (طبقه أ) في المغرب الاقصى، إنما يمثــل مرحلــه العاتريه في الشمال الأفريقي، ثم انتشرت جنوب الأطلسي الصحراوي في العصر العاتري الوسيط. وهناك من يذهب إلى أن الصناعة العاتريه قد وصلت إلى مصــر في العصــر الحجري القديم الأوسط.

ولعل أهم مواقعها إنما كانت تلك الــتي كشــف عنــها "ساندفورد" على مقربة من نقاده و فيمــا بــين دنــدنره والمراشده، فضلا عن تلك التي على مقربة من نجع حمــادي (بمحافظه قنا) و أسيوط إلى جانب ما تم كشفه في ضواحي طيبه و في العرابه المدفونه (محافظه سوهاج).

و يرى الباحثين أن الصناعة العاتريه تشبه صناعه "الحضارة اللفلوازيه الموستيريه الفلسطينيه" في الإنتاج الصــناعي و في إنماء كل منهما لفترة زمنية واحدة، وقد طُبقــت طريقــة "كربون ١٤ المشع" على بعض البقايا المتفحمة التي عُثــر عليها في المواقد في طبقات "كهغ هوافتيح" في منطقه وادي درنه، فأدى إلى تقدير عمر هذه البقايــا بحــوالي ٤٣٠٠٠ ق.م ، كما أن هناك شبهاً بين البقايا العظمية الإنسانية من هذه المرحلة و بين " الإنسان النيدرتالى الفلسطيني ".

وقد أدى ذلك كله إلى وجود صلات حضارية و بشــرية بين غربي أسيا و خاصةً فلسطين وبين المغرب وخاصةً برقة (شمال شرقي ليبيا) الأمر الذي يدل على وجود جانــب شرقي، فضلاً عن العناصر المحلية في حضارة العصر الحجري القديم الأوسط في المغرب.



المـــــراجع

-رشيد الناضوري، المغرب الكبير، الجزء الأول:العصور القديمة، الإسكندرية ١٩٦٦.
- ام الخير العقون، العلاقات الحضارية والسياسية بــين مصــر وشمال إفريقيا منذ أقدم العصور حتى نهاية الألف الثــاني قبــل الميلاد، الإسكندرية١٩٨٨.



إعداد/ سيد سعد
المشـــرف الفني
صاحب مدونة مكسرات
elsayed_saad@hotmail.com

قصّة فانوس رمضان

كان شهر رمضان بالنسبة للأطفال عبارة عن شمعة مشتعلة داخل فانوس، فانوس رمضان احد المظاهر الشّعبيّة الأصلية في مجتمعنا. وهو أيضا واحد من الفنون الفلكلوريـــة الّـــتي نالت اهتمام الفنّانين والدّارسين حتّى أن البعض قام بدراسة أكاديميّة لظهوره وتطوره و ارتباطه بشهر الصّوم ثمّ تحويله إلى قطعة جميلة من الدّيكور العربي في الكثير من البيـــوت المصريّة الحديثة. وقد نوقشت أكثر من رسالة للماجســـتير والدّكتوراه عن تاريخ الفانوس الّذي ظلّ عبر العصور احد مظاهر رمضان وجزءا لا يتجزأ من احتفالاته ولياليه.

استخدم الفانوس في صدر الإسلام في الإضاءة ليلاً للذهاب إلى المساجد وزيارة الأصدقاء والأقارب. أما كلمة الفانوس فهي إغريقية تشير إلى إحدى وسائل الإضاءة، وفي بعـــض اللغات السامية يقال للفانوس فيها 'فناس'،ويذكر الفـــيروز أبادي مؤلف القاموس المحيط، أن المعني الأصلي للفـــانوس هو "النمام" ويرجع صاحب القاموس تسميته بهذا الاســـم إلي أنه يظهر حامله وسط الظلام والكلمـــة بهـــذا المعـــني معروفه.

تعتبر مصر هي أكثر الدول استخداماً للفانوس بـــين كـــل الدول الإسلامية كتقليد في شهر رمضان، وهناك العديـــد من القصص عن أصل الفانوس؛ أحد هـــذه القصـــص أن الخليفة الفاطمي كان يخرج إلى الشـــوارع ليلـــة الرؤيـــة ليستطلع هلال شهر رمضان، وكان الأطفال يخرجون معه ليضيئوا له الطريق. كان كل طفل يحمل فانوســـه ويقـــوم الأطفال معاً بغناء بعض الأغاني الجميلة تعبيراً عن سعادتهم باستقبال شهر رمضان. هناك قصة أخرى عن أحد الخلفاء الفاطميين أنه أراد أن يضئ شوارع القاهرة طـــوال ليـــالي شهر رمضان، فأمر كل شيوخ المساجد بتعليق فوانيس يتم إضاءتها عن طريق شموع توضع بداخلها.

وتروى قصة ثالثة أنه خلال العصر الفاطمي لم يكن يُسمح للنساء بترك بيوتهن إلا في شهر رمضان وكـــان يســـبقهن غلام يحمل فانوساً لتنبيه الرجال بوجود سيدة في الطريـــق لكي يبتعدوا، وبهذا الشكل كانـــت النســـاء تســـتمتعن بالخروج وفي نفس الوقت لا يراهن الرجـــال. وبعـــد أن أصبح للسيدات حرية الخروج في آي وقت، ظـــل النـــاس متمسكين بتقليد الفانوس حيث يحمل الأطفال الفـــوانيس ويمشون في الشوارع ويغنون.

وهناك قصة أخرى؛ تقول أن الفانوس تقليد قبطي مـــرتبط بوقت الكريسماس حيـــث كـــان النـــاس يســـتخدمونه ويستخدمون الشموع الملونة في الاحتفال بالكريسماس.

والثابت أن المصريين عرفوا فانوس رمضان في الخامس من شهر رمضان عام ٣٥٨ هـــ وقد وافق هذا اليوم دخـــول المعز لدين الله الفاطمي القاهرة ليلاً فاستقبله أهلها بالمشاعل والفوانيس وهتافات الترحيب، وقد تحول الفـــانوس مـــن وظيفته الأصلية في الإضاءة ليلاً إلى وظيفة أخرى ترفيهيـــة

إبان الدولة الفاطمية، حيث راح الأطفال يطوفون الشوارع والأزقة حاملين الفوانيس ويطالبون بالهدايا من أنواع الحلوى التي ابتدعها الفاطميون ، كما صاحب هؤلاء الأطفال – بفوانيسهم – المسحراتي ليلاً لتسحير الناس، حتى أصبح الفانوس مرتبطاً بشهر رمضان.

وقد بدأت صناعة الفوانيس منذ العصر الفاطمي تتخذ مسارا حرفيا وإبداعيا في الوقت ذاته، فظهرت طائفة من الحرفيين في صناعة الفوانيس بأشكالها المتعددة وتزيينها وزخرفتها حيث كان الفانوس يُصنع من النحاس ويوضع بداخله شمعة، بعد ذلك أصبح الفانوس يُصنع من الصفيح والزجاج الملون. و لم يتشكل الفانوس في صورته الحالية إلا في نهاية القرن التاسع عشر وأصبح يستخدم إلي جانب لعب الأطفال في تزيين وإضاءة الشوارع ليلا كما كانت وظيفته الأصلية خلال شهر رمضان رغم وجود وسائل الإضاءة الحديثة.

المسحراتي

المسحّراتي صورة لا يكتمل شهر رمضان بدونها ، وهو يرتبط ارتباطا وثيقا بتقاليدنا الشّعبية الرّمضانيّة، فقبل الإمساك بساعتين يبدأ المسحّراتي جولته الّليلية في الأحياء الشّعبية موقظاً أهاليها للقيام على ضرب طبلته وصوته الجميل يصدع بأجمل الكلمات مما يضفي سحرا خاصّا على المكان، ومن العبارات المشهورة للمسحّرين قولهم :

يا نايم وحّد الدّايم — يا غافي وحّد الله
يا نايم وحّد مولاك — اللي خلقك ما بنساك
قوموا إلى سحوركم — جاء رمضان يزوركم

ويقوم بتلحين هذه العبارات بواسطة ضربات فنّية يوجّهها إلى طبلته. وقديماً كان المسحّراتي لا يأخذ أجره، وكان ينتظر حتى أول أيام العيد فيمر بالمنازل منزلاً منزلاً ومعه طبلته المعهودة ، فيوالي الضّرب على طبلته نهار العيد لعهده بالأمس في ليالي رمضان، فيهب له النّاس بالمال والهدايا والحلويّات ويبادلونه عبارات التّهنئة بالعيد السّعيد.

وقد كان بلال بن رباح أول مؤذّن في الإسلام وابن أم كلثوم يقومان بمهمّة إيقاظ النّاس للسّحور. الأول يؤذّن فيتناول النّاس السّحور، والثّاني يمتنع بعد ذلك فيمتنع النّاس عن تناول الطّعام.

وأول من نادى بالتسحير عنبسة ابن اسحاق سنة ٢٢٨ هـ وكان يذهب ماشياً من مدينة العسكر في الفسطاط إلى جامع عمرو بن العاص وينادي النّاس بالسحور، وأول من أيقظ النّاس على الطّبلة هم أهل مصر. أما أهل بعض البلاد العربيّة كاليمن والمغرب فقد كانوا يدقّون الأبواب بالنبابيت، وأهل الشّام كانوا يطوفون على البيوت ويعزفون على العيدان والطّنابير وينشدون أناشيد خاصّة برمضان.

مدفع رمضان

يقال أن أحد رحال السّلطان "خشقدم" – من سلاطين المماليك– تمكّن من إعداد مدفع كبير وقدمه هديّة إليه، وسر السّلطان بهذا المدفع وأمر بحمله على عربة تجرّها عشرة خيول يحف بها موكب كبير سار حتى استقر في ميدان القلعة بالقاهرة، وأجريت تجربة إطلاقه في أول يوم من أيام رمضان عام ٨٦٩ هـ \ ١٤٦٤م مع آذان المغرب. ثم أمر السّلطان بتكرار التّجربة في اليوم الثّاني، فكان لصوت المدفع أثره على سكّان العاصمة مما جعل السّلطان يأمر بإطلاقه عند الغروب ليكون إيذانا بانتهاء النهار.

وهناك رواية تفيد بأن ظهور المدفع جاء عن طريق الصدفة، فلم تكن هناك نية مبيتة لاستخدامه لهذا الغرض على الإطلاق، حيث كان بعض الجنود في عهد الخديوي إسماعيل يقومون بتنظيف أحد المدافع، فانطلقت منه قذيفة دوت في سماء المحروسة، وتصادف أن كان ذلك وقت أذان المغرب في أحد أيام رمضان، فظن الناس أن الحكومة اتبعت تقليداً جديداً للإعلان عن موعد الإفطار، وساروا يتحدثون بذلك، وقد علمت الحاجة فاطمة ابنة الخديوي إسماعيل بما حدث، فأعجبتها الفكرة، وأصدرت فرماناً يفيد باستخدام هذا المدفع عند الإفطار والإمساك وفي الأعياد الرسمية.

الدوريات

- مجلة صندوق الدنيا، عدد ١١١ مايو ١٩٨٧م
- هدى الإسلام، رمضان١٤٠٣هـ/١٩٨٣م



عـروبة القـدس..
الدليل التاريخي والحكاية من البداية

إيمان محي الدين
أمين التحريـــر
مدير تنفيذي بشركة تكنولوجيا معلومات
emanmohiy@hotmail.com

فلسطين لم تمت من قلوب العرب هـــي باقية كالماء والهواء لن تصبح فلســـطين يهودية أبدا مادام العرب على قيد الحياة. إن فلسطين هي الأرض التي اختارها الله ليتم عليها الحرب الفاصلة ويسطع نـــور الإسلام من جديد، إننا في انتظار يـــوم الوعد وعد الله الذي وعدنا بـــه لمحـــو اليهود من العالم كله وليس من فلسطين فقط، فلسطين هي الأرض التي شهدت مولد السيد المسيح وعلى أرضها صـــلى رسولنا الكريم صلى الله وعليه وســـلم بالأنبياء ومنها عرج إلى السموات العلى.

كيف نتنازل عن هذه الأرض مهما كان الثمن سوف ندفع أغلى ثمن وهو دم كل عربي مسلم يتمنى أن تتحرر فلسطين، لم يعد بيننا مكان للعنصـــر الانهزامـــي أو الخائن لابد وأن نقف على أرجلنا لكي نقاوم ثم نقاوم لإنهاء دولة إسرائيل مـــن العالم كله ومن ثم ترجع فلسطين كمـــا كانت ارض التسامح كتر الشرق بحق.

إننا على أبواب عام جديد لا نعلم مـــا الذي يخفيه في طياته، هل يحمل لنا الأمل أم اليأس؟ لابد وأن نستغل كل شـــيء أمامنا لا مفر من الحرب، الحرب هـــي الأمل الوحيد، فما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، لابد وان يرجـــع الحـــق إلى أصحابة مرة أخرى لكي تنام في أمـــان وحرية.

القدس عربية لحما ودما أنشاها العـــرب من قديم الزمن واستقروا بها وأقاموا فيها حضارة عربية عرفها التاريخ عنـــهم لا ينكرها غير من لا يعتـــرف بالفضـــل لذويه، ومن يخفون الحقائق ليســـيروا في الظلام إلى ما ليس لهم ويسلبوا ما لاحق لهم فيه.

أول من جاء إلى القدس واســـتقر بهـــا واتخذها موطنا له قبيلة عربيـــة خالصـــة العروبة خرجت من جزيرة العرب منـــذ آلاف الأعوام قبل الميلاد وحطت رحالها هناك حول نبع عذب غزير المياه فـــوق احد جبالها وأقاموا حيث نزلوا مدينـــة سموها (اورسالم) أي مدينة السلام شاع أسمها على الألسن باســـم (اورشـــاليم) وبعدها استقروا وانشئوا بهـــا حضـــارة عرفتها تلك الأيام البعيدة.

حضارة ارتقوا بها عن أزمانهم وصنعوا بها شيئا جديدا، كان في تلك الأيام موضع دهشة فلدى العرب اســـتعداد فطـــرى للإنشاء والتعمير وإقامة المجتمعات الراقية الفاضلة، أينمـــا حلـــوا هـــزوا الأرض واخرجوا ثمارها وجـــددوا واخترعـــوا وتشهد بذلك كل الأماكن التي نزلوها.

ومضى التاريخ بأولئـــك (اليبوســـيين) العرب كما مضى بسواهم فبعدهم جاء (العموريون) إلى (اورسالم) وهم مثـــل (اليبوسيين) الكنعانيين قبيلة عربية أقبلت من شعاب جزيرة العرب ومدوا الحضارة التي ورثوها من إخوانهم وكانوا أول من بنى سورًا حول القدس.ثم مر بالقـــدس الفرس، والإغريق، وفتحها الإســـكندر المقدوني سنه ٣٣٢ قبل الميلاد، وبعـــده بطالمة مصر، وبعدهم جاء دور الرومان الذين احتلوها وطردوا كل من فيها.

هذه صلة العرب بالقدس القديمة سبقت دخول المسلمين بعد الإسلام في العـــام السابع عشر الهجري فلم يكـــن الفـــتح الإسلامي لها غير استردادٌ للوطن وإزالة حكم الأجنبي الدخيل المستبد.

بدأت المشكلة الفلسطينية منـــذ أوائـــل القرن ال ١٩ الميلادي ففي عام ١٨٩٧ عقد المؤتمر اليهودي الأول لبحث المسالة اليهودية، وفيه تحددت فكرة إقامة وطن قومي لليهود. وفى عام ١٩٠٥ تم تحديد فلسطين لتكون الوطن القومي لليهـــود تحت شعار العودة إلى فلسطين.

ومنذ مطلع القـــرن ال ١٩ المـــيلادي والمفكرون اليهود يلتمسون أية وســـيلة لتهجير اليهود إلى فلسطين على اعتبـــار أنها ارض الميعاد التي وعد الله بها شـــعب الله المختار، وأنها الأرض الـــتي ســـتلم الشتات اليهودي منذ السبي البابلي. وقد ساهم في هذا الأمـــر إنشـــاء المنظمـــة الصهيونية العالمية والبنـــك الصـــهيوني لتمويل عمليات الهجرة وشراء الأراضي للمهاجرين اليهود إلى فلسطين.



وفى عام ١٩١٦ تم عقدت إتفاقية سايس بيكو السرية بين كل من انجلترا وفرنسا وروسيا تنص على تقسم ممتلكات الدولة العثمانية، ولكن حدث خلاف بينهم واقتصرت المعاهدة على انجلترا وفرنسا وتم بالفعل اقتسام الأراضي العثمانية وإقامة نظام دولي في فلسطين.
ونظراً لارتباط مصالح بريطانيا بمصالح الحركة الصهيونية أصبحت مستعدة لتأييد اليهود في إنشاء وطن قومي، فكان إصدار تصريح بلفور في عام ١٩١٧ وتم توجيهه إلى رئيس الطائفة اليهودية في بريطانيا، و تضمن الخطاب مساعدة اليهود في إقامة الدولة اليهودية في فلسطين.

وفى عام ١٩١٩ قدم العرب واليهود مطالبهم أمام مؤتمر الصلح (فرساي) وطالب العرب بتحرر كل الأراضي العربية واستقلال كل العرب ومنهم عرب فلسطين، بينما طالبت المذكرة الصهيونية بالاعتراف بالحق التاريخي لليهود في فلسطين وإقامة وطن قومي لهم.واتفقت فرنسا وانجلترا على أن تكون فلسطين تحت الانتداب الانجليزي وان تلتزم الحكومة البريطانية بتنفيذ تصريح بلفور.

ولقد أقرت عصبة الأمم نظام الانتداب على فلسطين وبذلك تخلت عن واحد من أهم أهدافها آلا وهو مساعدة الشعوب على أن تحكم نفسها بنفسها، وسارت في طرق إبادة عرب فلسطين وتهويدها.وكانت سياسة الانتداب في فلسطين تهدف إلى تشكيل إدارة عليا ذات طابع صهيوني، وصدرت القوانين التي تنقل الأراضي المملوكة للدولة إلى اليهود وتسهل لهم انتقال الأراضي بالشراء أو التنازل من أيدي العرب بأي ثمن.

وفى تلك الأثناء حدثت حوادث البراق (حائط المبكى) عام ١٩٢٩ حيث أراد اليهود الاستيلاء عليه وكان يحد المسجد الأقصى من الغرب، فحدثت مصادمات دموية لم تتوقف إلا بتدخل القوات الانجليزية التي عاملت اليهود برفق وتدخلت ضد العرب.

ومن ناحية أخرى؛ أخذت جموع اليهود تتدفق على فلسطين بسبب اضطهاد هتلر ونظام حكمة النازي لليهود، وكانت فلسطين هي الجبهة المفضلة لليهود الألمان، وكانت الحكومة البريطانية والوكالة الانجليزية تمد يد المساعدة للمهاجرين إلى فلسطين لكي يستقروا بشكل إنتاجي، بل أكد البرلمان الانجليزي أن تمليك فلسطين لليهود ما هو إلا سياسة راسخة لبريطانيا.
وتشكلت اللجنة العليا في عام ١٩٣٥ للدفاع عن حقوق عرب فلسطين وقدمت مذكرة بهذا الصدد، ولكن انجلترا تمسكت بموقفها وعدم استجابتها لمطالب العرب فاندلعت الثورة في فلسطين عام ١٩٣٦ حتى عام ١٩٣٩ واستخدمت حكومة الانتداب أشد أنواع البطش، ورغم ذلك استمرت الثورة وتم تقديم مشروع تقسيم فلسطين حتى تنتهي بعض من الصراعات بين العرب واليهود، ولكي تتفرغ بريطانيا للحرب العالمية الثانية التي كانت على الأبواب.
فحدث تقديم مشروع عام ١٩٣٧ (لجنة اللورد بيل الانجليزية) وفيها أول مشروع لتقسيم فلسطين إلى دولة عربية وأخرى يهودية، ولقد وافق اليهود على التقسيم باعتباره أنه سيعطيهم الفرصة للعمل بكل حرية على ارض تابعه لهم ولتكن هذه الأرض هي النواة لقيام دولة إسرائيل.
ومن جهة أخرى؛ رفض العرب المشروع لأن أي اقتطاع لأية بقعه من أرض فلسطين يعتبر ظلما لأهلها، وفى تلك الأثناء انضمت دولة جديدة منحازة إلى اليهود آلا وهى الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت شديدة الانحياز إلى الصهيونية التي قدمت لها خدمات واسعة لتحطيم ألمانيا النازية ، بالإضافة إلى تدعيم مصالح الولايات المتحدة في الشرق الأوسط لأهمية وجود البترول وأن من يسيطر على الشرق الأوسط يسيطر على العالم.
وبذلك أصبحت الولايات المتحدة المؤيد الأول والأقوى لقيام دولة يهودية، بينما كانت انجلترا ترى أنها لا نستطيع الاستمرار في الانتداب على فلسطين وكانت رؤية المنظمات اليهودية أن أمريكا ستحتل الدور القيادي. وصدر في عام ١٩٤٧ قرار بتقسيم فلسطين من الأمم المتحدة إلى منطقتين عربية ويهودية.
وفى تلك الأثناء قررت انجلترا إنهاء الانتداب البريطاني لفلسطين في موعد غايته ١٩٤٨/٥/١٥ وعندما تمادت القوات تم إعلان قيام الدولة الإسرائيلية ولم يستطع العرب أن يتخذوا موقفا موحدا من اجل محاربة إسرائيل لأن كل دوله عربية كانت مشغولة بالاحتلال، ولقد أرسلت جامعه الدول العربية الجيوش إلى فلسطين من اجل إخراج اليهود ولكن بسبب تأخر الوسائل الحربية وضعف ميثاق الجامعة العربية تم هزيمة العرب هزيمة ساحقة.



MILITARY CONTROL AREAS PALESTINE, MAY 14 1948

International Boundries
Isreali Army
Palestine Militia
Arab Liberation Army
Egyptian Army
Jordanian Army
Iraqi Army
Syrian Army
Uncontested area

Note: the Jordanian and Iraqi armies did not encroach the into UN partitioned "Jewish State."

Copyright © PalestineRemembered.com

أما إسرائيل، فقد استعملت أشد أنواع البطش لإبادة الشعب العربي وأول هذه المذابح مذبحة دير ياسين ١٩٤٨/٤/٩ التي أبادت كثير من العرب وليست هذه المذبحة هي الأخيرة وإنما تاريخ إسرائيل ملطخ بالمذابح التي تسببت في قتل العرب وتحويلهم من أصحاب ارض إلى لاجئين لا يملكون أي شيء وأصبحوا مطاردون.

وقد شهد هذا القرن بعد إعلان الدولة الإسرائيلية في عام ١٩٤٨تغير حدود إسرائيل أكثر من مرة، فلم تكتفي إسرائيل بالحدود التي قسمتها لها الأمم المتحدة واستولت على الأراضي الفلسطينية إلا مناطق محدودة وصغيرة، فكانت حدود إسرائيل عام ١٩٦٧ تمتد إلى سيناء وهضبة الجولان السورية بالإضافة إلى الجنوب اللبناني.

على الهامش

أسماء القدس : يبوس، أورشليم، الياكبيتولينا، القدس، بيت المقدس، مدينة الله، مدينة العدل، مدينة السلام.

٣٠٠٠ ق.م: اليبوسيون الكنعانيون يضعون أول لبنة في بناء القدس، وعرفت المدينة باسم يبوس نسبة إليهم.

١٤٧٩- ١٤٤٧ ق.م: خضوع المدينة للسيادة الفرعونية كغيرها من مدن فلسطين، والتي دامت مائتي عام.

١٣٥٠ ق.م :احتياز اليهود صحراء سيناء ومحاولتهم دخول فلسطين.

١١١٩ ق.م: عبور اليهود بقيادة يشوع بن نون نهر الأردن واحتلال أريحا

١٠٠٤ ق.م: داود يوحد القبائل اليهودية تحت ملكه ويحتل يبوس.

٩٢٦_٩٢٥ ق.م: انقسام مملكة داود إلى دولتين.

٧٣٤ ق.م: تغلات بلاسر الأشوري يتغلب على مملكة إسرائيل ويحتل عاصمتها السامرة.

٧٣٠ ق.م: شلمنصر الأشوري يغزو القدس عاصمة مملكة يهودا.

٥٨٦ ق.م: نبوخذ نصر البابلي يحتل القدس، وانقراض مملكة يهودا.

٥٣٨ ق.م: كورش الفارسي يسمح لليهود بتجديد هيكل سليمان.

٣٣٢ ق.م: الإسكندر المقدوني يحتل القدس.

٦٣ ق.م: الرومان بقيادة بومبي يحتلون القدس.

١٥هـ-٦٣٦م: عمر بن الخطاب يفتح بيت المقدس.

٦٩_٧٢هـ/٦٨٨-٦٩٢م: بناء مسجد الصخرة زمن الخليفة عبد الملك بن مروان.

٩٠_٩٦هـ/٧٠٩-٧١٥م: إنشاء المسجد الأقصى زمن الوليد بن عبد الملك.

٤٩٢هـ/١٠٩٩م: الفرنج (الصليبيون) يحتلون القدس، ويؤسسون مملكة بيت المقدس اللاتينية.

٥٨٣هـ/١١٨٨م:الملك صلاح الدين الأيوبي يستعيد القدس.

٦٢٦هـ/١٢٢٨م: الإمبراطور فريدريك الثاني يتسلم بيت المقدس من السلطان الكامل الأيوبي.

٦٣٧هـ/١٢٣٩م: الملك الناصر داود صاحب الكرك يستعيد القدس.

٦٤١هـ/١٢٤٣م: الملك الناصر داود صاحب الكرك والملك الصالح إسماعيل صاحب دمشق يسلمان القدس للفرنج، بما في ذلك الصخرة والأقصى ومزارات الحرم.

٦٤٢هـ/١٢٤٤م: السلطان الصالح نجم الدين أيوب يستعيد القدس.

٧٧٧هـ/١٣٧٥م: القدس نيابة مستقلة تابعة للسلطان المملوكي.

٩٤٧هـ/١٥٣٦-١٥٤٠: السلطان سليمان القانوني يجدد سور القدس.

١٣٣٦هـ/١٩١٧م: الإنجليز يحتلون القدس بقيادة اللورد اللنبي.

١٣٦٧هـ/١٩٤٨م: احتلال اليهود القدس الغربية واتخاذها عاصمة لهم.

١٣٨٧هـ/١٩٦٧م: احتلال القدس الشرقية وضمها إلى القدس الغربية.

١٣٧٧هـ/١٩٦٧م: عمليات تهويد مستمرة للقدس.. وإلى الآن.

المراجع

-مجير الدين الحنبلي،الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، المطبعة الوطنية،القاهرة ١٢٨٣هـ.

-وليم فهمي،الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة،منشورات جامعة الدول العربية، ١٩٧١.

-عارف العارف،المفصل في تاريخ القدس ، مطبعة المعارف،القدس، الطبعة الرابعة ١٩٩٦م.





الصورة الحية للإله أمون





محمد محمد زكي
مرشد سياحي
عضو هيئة التحرير
Mr.mohamed.zaky@gmail.com

الملك توت عنخ آمون أحد فراعنة الأسرة الثامنة عشر في تاريخ مصر القديمة، وكان فرعون مصر من ١٣٣٤ إلى ١٣٢٥ ق.م في عصر الدولة الحديثة، وكان عمرة وقتها تسع سنوات، ويعنى اسمه باللغة المصرية القديمة "الصورة الحية للإله أمون" كبير الآلة المصرية القديمة، عاش توت عنخ آمون في فترة انتقالية في تاريخ مصر القديمة حيث أتى بعد اخناتون الذي حاول توحيد آلهة مصر القديمة في شكل الإله الواحد.

يعد الفرعون الذهبي من أشهر الفراعنة ويرجع السبب في ذلك إلى اكتشاف مقبرته وكنوزه بالكامل دون أي تلف، إضافة إلى اللغز الذي أحاط بظروف وفاته في سن مبكر جداً الأمر الذي اعتبره الكثير أمر غير طبيعيا، خاصةً مع وجود آثار لكسور في الفخذ والجمجمة، وزواج وزيره من أرملته وتنصيب نفسه فرعوناً.

يُعتقد أن فترة حكمة تراوحت من ٨-١٠ سنوات، وتُظهر المومياء الخاصة به أنه كان شاباً دون العشرين من عمرة، وقد تم الاستنتاج مؤخراً باستعمال وسائل حديثة أنه كان على الأرجح في التاسعة عشر من عمرة عند وفاته.

أثناء حكم توت عنخ آمون بدأت ثورة من تل العمارنة ضد حركة الفرعون السابق له "اخناتون" الذي كان من المعتقد أن يكون والده الذي نقل العاصمة من طيبة إلى عاصمته الجديدة "آخت أتون" بالمنيا، وحاول توحيد مصر القديمة المتعددة بما فيها الإله أمون في شكل الإله الواحد آتون.

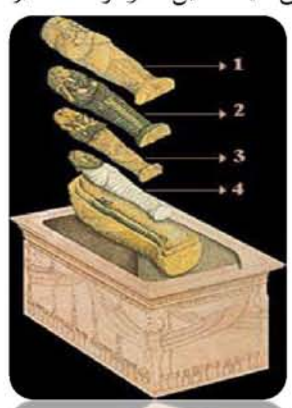
لفترة طويلة كان سبب وفاة توت عنخ آمون مسألة للجدل، وكانت هناك من نظريات المؤامرة التي كانت ترجح فكرة أنه لم يمت وإنما تم قتله في عملية اغتيال. وفي ٨ مارس ٢٠٠٥ ونتيجة لاستخدام الحاسوب في التشريح ثلاثي الأبعاد **Three Dimensional CT Scan** على مومياء توت عنخ آمون، وجد أنه لا توجد أية أدلة على أن الفرعون الذهبي قد تعرض إلى عملية اغتيال، وأضاف أن الفتحة الموجودة في جمجمته لا تعود لسبب تلقيه ضربة قوية على رأسه، والكسر في عظم الفخذ الأيسر قد تعرض له توت عنخ آمون قبل موته، وربما يكون الالتهاب الناتج من هذا الكسر قد تسبب في تسمم الدم نتيجة الكسر في عظم الفخذ الذي تعرض له والذي أدى إلى الكانكرين وهو عبارة عن موت الخلايا والأنسجة مما أدى إلى موته.

مقبرة الفرعون الذهبي

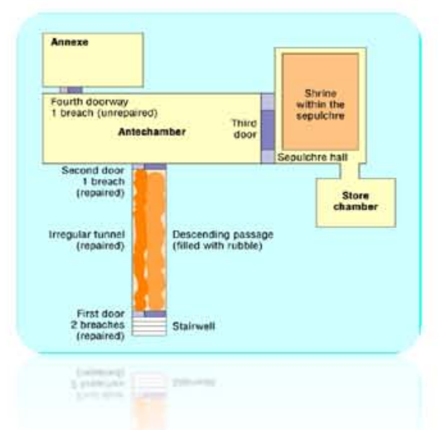
تم اكتشاف مقبرة الفرعون الذهبي "توت عنخ آمون" في نوفمبر ١٩٢٢ من قبل عالم الآثار البريطاني "هوارد كارتر" عندما كان يقوم بحفريات عند مدخل النفق المؤدى إلى قبر الملك رمسيس الرابع في وادي الملوك، فلاحظ وجود قبو كبير واستمر بالتنقيب الدقيق إلى أن دخل إلى الغرفة التي تضم ضريح توت عنخ آمون، وكانت على جدران الغرفة التي تحوى الضريح رسوم رائعة تحكى على شكل صور قصة رحيل توت عنخ آمون إلى عالم الأموات، وقد احدث هذا الاكتشاف ضجة إعلامية واسعة النطاق في العالم نظراً للتوصل إلى مومياء الفرعون الصغير كاملة المحتويات وبكامل زينتها من قلائد وخواتم والتاج والعصا وكلها من الذهب الخالص والأبنوس.



لاحظ كارتر وجود صندوق خشبي ذات نقوش مطعمة بالذهب في وسط الغرفة، وعندما قام برفع الصندوق لاحظ أن الصندوق كان يغطى صندوقا ثانيا مزخرفا بنقوش مطعمة بالذهب وعندما رفع الصندوق وجد أنه يغطى صندوق ثالثاً مطعم أيضاً بالذهب، وعندما رفع الصندوق الثالث وصل العالم البريطاني إلى التابوت الحجري الذي كان مُغطى بطبقة من الحجر المنحوت على شكل تمثال لتوت عنخ آمون، وعند رفعه لهذا الغطاء الحجري وصل إلى التابوت الذهبي الرئيسي الذي كان على هيئة تمثال لتوت عنخ آمون وكان هذا التابوت الذهبي يغطى تابوتين ذهبيين آخرين على هيئة تماثيل للفرعون الصغير.



اضطر العالم البريطاني مكتشف مقبرة الفرعون إلى قطع ثلاثة توابيت ذهبية ليصل إلى مومياء توت عنخ آمون، غير أنه لاقى صعوبة في رفع الكفن الذهبي الثالث الذي كان يغطى مومياء الملك، ففكر كارتر أن يعرض الكفن إلى أشعة شمس مصر الشديدة لتكون كفيلة بفصل الكفن الذهبي عن المومياء، ولكن محاولاته فشلت واضطر في أخر الأمر إلى قطع الكفن الذهبي إلى نصفين ليصل إلى المومياء الذي كان ملفوفاً بطبقات من الحرير، وبعد إزالة الكفن المصنوع من القماش وجد مومياء توت عنخ آمون بكامل زينتها من قلائد وخواتم والتاج وكانت كلها من الذهب الخالص.



والمقبرة تتكون من سلم يوصل إلى ممر ثم حجرة أمامية ومنها نصل لحجرة الدفن، وجميع هذه الحجرات كانت مكدسة بالأثاث، والجدير بالذكر أن حجرة الدفن لا تزال تحتفظ بالتابوت الحجري والخشبي ومومياء الملك.

أهمية كنوز توت

ترجع أهمية مجموعة الملك توت عنخ آمون إلى العديد من الأسباب؛ أولها أن كنز الملك توت عنخ أمون هو أكمل كنز ملكي عُثر عليه ولا نظير له، إذ يتكون من ثلاثمائة وثمان وخمسين قطعة تشمل القناع الذهبي الرائع وثلاثة توابيت على هيئة الإنسان، أحدها من الذهب الخالص والآخران من خشب مذهب. ثانيا: أن تلك الأمتعة ترجع إلى الأسرة الثامنة عشر أشهر وأزهى عصور الدولة الحديثة حيث انفتحت البلاد على أقاليم الشرق الأدنى القديم بفضل الحملات العسكرية والعلاقات التجارية من تصدير واستيراد للموارد والمنتجات المصنعة ونشاط أهل الحرف والفنانين.

وأخيراً؛ أن هذه المجموعة الهائلة قد ظلت في مصر، وتوضح كيف كان القبر الملكي يجهز ويعد فهناك أمتعة الحياة اليومية كالدمى واللعب، ثم مجموعة من أثاث مكتمل وأدوات ومعدات حربية، وتماثيل للأرباب تتعلق بدفن الملك وما يؤدى له من شعائر، وبوق توت عنخ آمون الشهير المصنوع من الفضة وأخر من النحاس، وكل هذه المحتويات الآن بالمتحف المصري بالقاهرة.

رابعاً: من هذا الكنز أو المجموعة الهائلة نتعرف على الكثير من حياة الملك وحبة للصيد وعلاقته بزوجته "عنخ أسن آمون" التي من المعتقد أن تكون قريبته، بالإضافة لمعرفة أهم أعماله وحاشيته، وأخيراً كرسي العرش الوحيد الذي وصل لنا من حضارة المصريين القدماء.

المراجع

-**Carter H**. *The tomb of Tutankhamen.* London: Century Publishing, 1983.

-**Reeves N**. *The complete Tutankhamun. The king. The tomb. The royal treasure.* London: Thames and Hudson, 1995.

-**Brier R**. *The murder of Tutankhamen: a true story.* New York: GP Putnam's Sons, 1998



السيف



ريهام عبد الله المستادي
ماجستير تاريخ إسلامي (مملوكي)
محررة بجريدة المدينة (جدة)
riham_almistadi@hotmail.com

"وكل من معه سلاح لا يستغني عن السيف، وصاحب السيف يستغني عن جميع السلاح"

وقف السيف العربي والإسلامي على مر التاريخ شريفاً مدافعاً عن الحق ناشراً لعدالة السماء التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه.

فقد كان للسيف مكانة رفيعة وعظيمة بالنسبة للإنسان منذ أقدم العصور، فقد منحته هذه القطعة من السلاح العظمة والإجلال فبرع بالتفنن في صناعتها وزخرفتها وصياغتها، بل زاد وطور من أداة فاعليتها. وتفنن الإنسان العربي في استخدامه وتعددت الأسماء المختلفة التي أطلقها على هذه القطعة العزيزة عليه، وللسيف فخامة وقوة وعظمة تأتي من حامله.

ومن السيوف المشهورة في التاريخ سيوف الرسول محمد (ﷺ)، فقد كانت له جملة سيوف منها البتار والمعصوب والمخذم والرسوب والحتف والعضب الذي كان قد أعطاه لسعد بن عبادة. أما أشهر سيوف الرسول فهو حتما ذو الفقار الذي غنمه في معركة بدر، وكان للعاصي بن منبه السهمي بن الحجاج، فبات سيفه المفضل الذي لا يفارقه في حرب من حروبه، وسمي (ذو الفقار) لحزوز مثل فقرات الظهر كانت في وسطه، وقد انتقل ذو الفقار سيف النبي المختار بعد وفاته إلى علي بن أبي طالب ثم صار لبنيه، ثم انتقل ذو الفقار إلى المعتز المتوكل، ثم صار من بعده إلى المهتدي بالله، وقيل أنه تحول أخيرا إلى الخلفاء الفاطميين.

وذكر أن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كان يتوشح بالسيف في عنقه بواسطة حمالة على الطريقة العربية المتبعة في ذلك الحين، و لم يصلنا من دولة المماليك إلا ما روي عن الظاهر بيبرس فقد قيل أن السيف الذي كان يتقلده هو أصلاً سيف الخليفة عمر بن الخطاب، وكان يحمله على الطريقة البدوية أي أنه كان يعلقه على الجانب الأيسر من نطاق يمر فوق الذراع اليمنى.

ومن أهم أسباب ضياع السيوف الإسلامية في العصر المملوكي أن أسلحة السلطان أو الأمراء كانت توزع على خاصته بعد وفاته، فكانت تبعثر على الرجال ثم تباع أو تضيع وتندثر، كما أنشئ في هذا العصر سوق لبيع الأسلحة. وقد اشتهرت عدة بلدان في صناعة السيوف منها الهند في صناعة السيف المهند، كما كان لدمشق باع كبير في صناعة السيوف فللسيف الدمشقي تاريخ وشهرة.

بداية صناعة السيف

لم تكن صناعة السيف في البداية تتم بالحديد الخالص بل كانت بالحديد والبرونز معاً منذ العام ١٦٥٠ ق. م، وأقدم أداة حديدية مشكلة بالطرق عثر عليها وأمكن تأريخها هو خنجر صنع في مصر القديمة قبل سنة ١٣٥٠ق.م .



وقد توالت صناعة الأدوات الحربية من الخناجر والسيوف بعد هذا التاريخ، وتطورت صناعتها وأشكالها وانتشرت انتشارا واسعاً في معظم البلدان والأمصار خصوصاً بلدان الشرق الأدنى كبلاد فارس وبلاد الشام والعراق والحجاز ومصر، وفي بلاد الأندلس بعد أن فتحها المسلمون، وكان أشهر صانعي السيوف خباب بن الأرت في الجاهلية وفي الإسلام.

وقد نقل لنا التاريخ أحداث مهمة عن السيف والمبارزات، و لم يفقد السيف تاريخه في عصرنا الحالي فللمبارزة الرياضية أهمية فلعبة الشيش والمبارزة إحدى فعاليات الألعاب الأولمبية، وكذلك للسيف مكانة في الفنون والأفراح فهناك رقصة السيف الشهيرة، وهناك الألعاب السحرية بالسيف عندما يقوم الساحر ببلع السيف، وهناك طقوس الدراويش بالسيف وإدخاله في البطن، أما في الاحتفالات الرسمية واستقبال الملوك والرؤساء فلابد من ظهور السيف مرفوعا بيد رئيس التشريفات.

المدفع في الموبايل



بقلم: أحمد عادل
كاتب وباحث
عضو هيئة التحرير
ahmed1292005@yahoo.com

كل عام وأنتم بخير ورمضان كريم، غفر الله لكم الذنوب وتقبل منكم الصلاة والصيام والزكاة.

أما بعد فيا أيها الفاطرون اليوم الصائمون غداً فإن من فضائل الشهر الكريم جمع أفراد الأسرة والأهل والأقارب على مائدة واحدة وهم الذين لا يرون بعضهم البعض إلا في حفل زفاف أو سرادق عزاء أو جلسة تقسيم تركة أحد كبار العائلة فعصر التكنولوجيا و اللمسة الواحدة لأي زر في بيتك حتى لو كان زر القميص الذي ترتديه ينقلك إلى النصف الآخر من الكرة الأرضية وربما المريخ فيما بعد، فإن هذا العصر الآلي دمر حلاوة اللقاء الأسري والعائلي ومن الممكن أن تهنئ أقاربك الآن عن طريق الانترنت ولا تكلف نفسك عناء النزول والصعود وشراء هدية رمزية...... كل هذا لا حاجة لك به، وعن طريق الفيديو كونفرانس تستطيع تناول الإفطار في قاهرة المعز مع ابن عمك المهاجر إلى واشنطن وفي البيت الأبيض لوحبيت.

وحكاية اليوم التي جعلت التاريخ يضحك من قلبه حتى أنه نسى تسجيل بعض الأحداث التي جرت هي "مدفع رمضان" الشهير، وهذا المدفع له قصة... فقد تم اكتشافه صدفةً ورب صدفة خير من ألف ميعاد، ففي عهد الخديوي إسماعيل كان بعض الجنود يقومون بتنظيف أحد المدافع وبينما يقومون بذلك انطلقت قذيفة مدوية في سماء البلاد وتصادف حدوث ذلك وقت رفع آذان المغرب في أحد أيام رمضان وظن المصريون أن الدولة قد سنت تقليداً مبتكراً للإعلان عن وقت الإفطار وانتشرت بين الناس حكايات حول المدفع الذي يزف بدء موعد الإفطار، وانتقلت الحكايات إلى مسامع الحاجة فاطمة ابنة الخديوي إسماعيل فأعجبت بها وأصدرت فرماناً باستخدام المدفع وقت الإفطار والإمساك وفي أعياد البلاد الرسمية وبدأت الحكومة تنفيذ الفرمان الآتي من القصر ومن حينها واقترن المدفع منذ ذلك الحين باسم الحاجة فاطمة الله يرحمها.

وفي وقتنا المعاصر تضاءلت أهمية مدفع رمضان، فأنت تسمعه الآن في الإذاعة والتليفزيون، والأطفال في بلادنا استعاضوا عنه باستخدام المفرقعات الصغيرة والبمب وإطلاقها وقت رفع الآذان، بل صار التليفون المحمول (الموبايل) بديلاً أيضاً؛ فكل ما عليك هو أن تضع نغمة "مدفع رمضان...اضرب" وتضبطها على توقيت آذان المغرب، وبلا قذيفة ولا يحزنون تضع المدفع في جيبك و لن يتأثر به الجيب المخروم بطبيعة الحال.

التكنولوجيا رغم كل المزايا التي توفرها لابن آدم في هذا القرن من الزمان إلا أنها أخذت معها أشياءً جميلة وداست عليها ومحتها وبقيت تراثاً على الأرفف وقصصاً على ألسنة الأحداد والتاريخ يدون ويدون ..القديم والجديد.

عفواً..أعتذر عن الاستكمال فأشعر بالمدفع على مكتبي يقترب من الانطلاق .. فالمدفع في الموبايل.



طرائف من كتب التاريخ

إعداد: مروة عبد الكريم

كاتبة وباحثة

عضو هيئة التحرير

maro_5050@hotmail.com

خالف السلطان بيبرس (١٢٦٠م-١٢٧٧م) الخليفة العباسي المقيم بمصر (بعد سقوط دولة العباسيين في أيدي التتار) – و كان حكمه صوريا – ، فأمره بيبرس أن يعزل نفسه ، فأجابه الخليفة وقال :"عزلت نفسي و عزلتك" ، فجمع بيبرس أئمة المذاهب الأربعة ليفتوه في شرعية سلطانه فأجمعوا أن عزل الخليفة لنفسه قبل عزل السلطان أسقط حقه في العزل لذا فعزله لبيبرس لا قيمة له ، و بقي بيبرس سلطانا.





طلب الخديوي سعيد (١٨٥٤-١٨٦٣م) من "المسيو براناي" في باريس عام ١٨٦٢م صك عملة مصرية جديدة تحمل اسمه و تاريخ ضربها ، ولكن مات الخديوي سعيد قبل وصول العملة لمصر و تولى الحكم الخديوي إسماعيل (١٨٦٣- ١٨٧٩م) الذي رفض استخدامها تقربا للسلطان العثماني (عبد العزيز) حيث أنها لم تحمل اسم السلطان ، و أعيد ضربها مع إضافة اسم السلطان و تاريخ توليه الخلافة ، فلما تداولها المصريون أطلقوا عليها "البريزة" نسبة إلى أنها ضربت في باريس.

أما (الشلن) "الخمسة قروش" فنسبة إلى"الشلن الإنجليزي" الذي استخدم بعد الاحتلال البريطاني لتنفيذ الإصلاح النقدي في مصر و كانت تعادل قيمته قيمة الشلن الإنجليزي تقريبا.



نشرت الصحف الأمريكية خبر إهداء الخديوي إسماعيل لمدينة نيويورك مسلة فرعونية سنة ١٨٧٧م – بعد أن أهدى لندن مسلة فرعونية – و لم يكن للخبر أي أساس من الصحة ، و قد وافق الخديوي إسماعيل على هذا الطلب عندما طلبه ديليسبس (صاحب فكرة حفر قناة السويس) و لكنه تأخر عاما حتى قامت إحدى اللجان بحصر المسلات الموجودة ، و كان طول المسلة ٦٨ قدم و استغرق نقلها ٨ أشهر.

قال بعض المنجمين للسلطان قنصوه الغوري (١٥٠١-١٥١٦م) أن الذي سيخلفه على كرسي السلطنة سيبدأ اسمه بحرف "س" وسرعان ما تعقب الغوري جميع الأشخاص الأقوياء الذين تبدأ أسماؤهم بهذا الحرف.. مركزًا اهتمامه على نائبه في الشام الأمير (سيباي) و لم يدر بخلده السلطان العثماني (سليم الأول) الذي غزا مصر و حولها لولاية عثمانية.

معركة الجهاد الكبرى ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م



أشـرف صالـح

رئيس التحرير

عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

عضو اتحاد كتاب الإنترنت العرب

Mr.ashraf.salih@gmail.com

يعتقد بعض الناس أن معركة حطين نهاية الفرنج في المنطقة ، والحقيقة أنها بداية النهاية،إذ استمرت الحروب بعدها قرابة القرن انتهت أخيراً باقتلاع الممالك الإفرنجية من ساحل الشام وفلسطين ، فحطين لم تحطم ممالك الفرنج و لم تقض عليها نهائياً ، بل أسست بداية جديدة لموازين القوى ، وأكدت أن قوة الفرنج يمكن أن تقهر ، فقد كانت معركة فاصلة بين حدين ، أي أنها ختمت مرحلة التراجع والهزائم وأسست مرحلة الانتصارات والتقدم.

الواقع أن؛ الأقدار هيأت لصلاح الدين الأيوبي أن يسطع في القرن السادس الهجري سطوعا باهرًا، وأن تبرز مواهبه وملكاته على النحو الذي يثير الإعجاب والتقدير، وأن يتبوأ بأعماله العظيمة مكانا بارزًا بين قادة العالم، وصانعي التاريخ.
لقد كانت وفاة نور الدين محمود سنة (٥٦٩هـ / ١١٧٤م) نقطة تحوّل في حياة صلاح الدين؛ إذ أصبحت الوحدة الإسلامية التي بناها نور الدين محمود-هذا البطل العظيم- معرّضة للضياع، و لم يكن هناك من يملأ الفراغ الذي خلا بوفاته، فتقدم صلاح الدين ليكمل المسيرة، ويقوّي البناء، ويعيد الوحدة، وكان الطريق شاقا لتحقيق هذا الهدف وإعادة الأمل.

عمل صلاح الدين على إحياء الدولة الإسلامية المتحدة، استعدادا لخطة الجهاد التي رسمها لطرد الصليبيين، فارتبط بعقد هدنة مع هؤلاء الصليبيين مدتها أربع سنوات؛ حتى يتفرغ تماما لتنظيم دولته وترتيب أوضاعها الداخلية.
غير أن أرناط حاكم الكرك شاء بحماقته ألا يترك الصليبيين ينعمون بتلك الهدنة؛ حيث أقدم على عمل طائش نقض الهدنة وأشعل الحرب، فاستولى على قافلة تجارية متجهة من مصر إلى دمشق، وأسر حاميتها ورجالها، وألقى بهم أسرى في حصن الكرك.

حاول صلاح الدين أن يتذرع بالصبر فبعث إلى أرناط مقبحًا فعله، وتهدده إذا لم يرد أموال القافلة ويطلق سراح الأسرى. وبدلا من أن يستجيب أرناط أساء الرد، واغتر بقوته، ورد على رسل صلاح الدين بقوله: "قولوا لمحمد يخلصكم". ولما حاول ملك بيت المقدس أن يتدارك الموقف أصرّ أرناط على رأيه، ورفض إعادة أموال القافلة وإطلاق الأسرى، فزاد الأمر تعقيدا، و لم يبق أمام صلاح الدين سوى الحرب والقصاص.

عبّأ صلاح الدين قواه واستعد لمنازلة الصليبيين وخوض معركة الجهاد الكبرى التي ظل يعد لها عشر سنوات منتظرا الفرصة المواتية لإقدامه على مثل هذا العمل، و لم تكن سياسة أرناط الرعناء سوى سبب ظاهري لإشعال حماس صلاح الدين، وإعلان الحرب على الصليبيين.

غادرت قوات صلاح الدين التي تجمعت من مصر وحلب والجزيرة وديار بكر مدينة دمشق في المحرم (٥٨٣هـ / مارس ١١٨٧م) واتجهت إلى حصن الكرك فحاصرته ودمرت زروعه، ثم اتجهت إلى الشوبك، ففعلت به مثل ذلك، ثم قصدت بانياس بالقرب من طبرية لمراقبة الموقف.
وفي أثناء ذلك؛ تجمعت القوات الصليبية تحت قيادة ملك بيت المقدس في مدينة صفورية، وانضمت إليها قوات ريموند الثالث أمير طرابلس، ناقضا الهدنة التي كانت تربطه بصلاح الدين، مفضلا مناصرة قومه، على الرغم من الخصومة المتأججة بينه وبين ملك بيت المقدس.

كان صلاح الدين يرغب في إجبار الصليبيين على المسير إليه، ليلقاهم وهم متعبون في الوقت الذي يكون هو فيه مدخرًا قواه، وجهد رجاله، و لم يكن من وسيلة لتحقيق هذا سوى مهاجمة طبرية، حيث كانت تحتمي بقلعتها زوجة ريموند الثالث، فثارت ثائرة الصليبيين وعقدوا مجلسًا لبحث الأمر، وافترق الحاضرون إلى

فريقين: أحدهما يرى ضرورة الزحف إلى طبرية لضرب صلاح الدين، على حين يرى الفريق الآخر خطورة هذا العمل لصعوبة الطريق وقلة الماء، وكان يتزعم هذا الرأي ريموند الثالث الذي كانت زوجته تحت الحصار، لكن أرناط اتهم ريموند بالجبن والخوف من لقاء المسلمين، وحمل الملك على الاقتناع بضرورة الزحف على طبرية.

بدأت القوات الصليبية الزحف في ظروف بالغة الصعوبة في (٢١ من ربيع الآخر ٥٨٣هـ / ١ من يوليو ١١٨٧م) تلفح وجوهها حرارة الشمس، وتعاني قلة الماء ووعورة الطريق الذي يبلغ طوله نحو ٢٧ كيلومترا، في الوقت الذي كان ينعم فيه صلاح الدين وجنوده بالماء الوفير والظل المديد، مدخرين قواهم لساعة الفصل، وعندما سمع صلاح الدين بشروع الصليبيين في الزحف، تقدم بجنده نحو تسعة كيلومترات، ورابط غربي طبرية عند قرية حطين.

أدرك الصليبيون سطح جبل طبرية المشرف على سهل حطين في (٢٣ من ربيع الآخر ٥٨٣هـ / ٣ من يوليو ١١٨٧م) وهي منطقة على شكل هضبة ترتفع عن سطح البحر أكثر من ٣٠٠ متر، ولها قمتان تشبهان القرنين، وهو ما جعل العرب يطلقون عليها اسم "قرون حطين".

وقد حرص صلاح الدين على أن يحول بين الصليبيين والوصول إلى الماء في الوقت الذي اشتد فيه ظمؤهم، كما أشعل المسلمون النار في الأعشاب والأشواك التي تغطي الهضبة، وكانت الريح على الصليبيين فحملت حر النار والدخان إليهم، فقضى الصليبيون ليلة سيئة يعانون العطش والإنهاك، وهم يسمعون تكبيرات المسلمين وتهليلهم الذي يقطع سكون الليل، ويهز أرجاء المكان، ويثير الفزع في قلوبهم.

وعندما أشرقت شمس يوم السبت الموافق (٢٤ من ربيع الآخر ٥٨٣هـ / ٤ من يوليو ١١٨٧م) اكتشف الصليبيون أن صلاح الدين استغل ستر الليل ليضرب نطاقا حولهم، وبدأ صلاح الدين هجومه الكاسح، وعملت سيوف جنوده في الصليبيين، فاختلت صفوفهم، وحاولت البقية الباقية أن تحتمي بجبل حطين، فأحاط بهم المسلمون، وكلما تراجعوا إلى قمة الجبل، شدد المسلمون عليهم، حتى بقي منهم ملك بيت المقدس ومعه مائة وخمسون من الفرسان، فسيق إلى خيمة صلاح الدين، ومعه أرناط صاحب حصن الكرك وغيره من أكابر الصليبيين، فاستقبلهم صلاح الدين أحسن استقبال، وأمر لهم بالماء المثلّج، ولم يعط أرناط، فلما شرب ملك بيت المقدس أعطى ما تبقّى منه إلى أرناط، فغضب صلاح الدين وقال: "إن هذا الملعون لم يشرب الماء بإذني فينال أماني"، ثم كلمه وذكّره بجرائمه وقرّعه بذنوبه، ثم قام إليه فضرب عنقه، وقال: "كنت نذرت مرتين أن أقتله إن ظفرت به: إحداهما لما أراد المسير إلى مكة والمدينة، والأخرى لما نهب القافلة واستولى عليها غدرًا".

وذكر محمد بن القادسي أنه ورد كتاب إلى بغداد في وصف هذه الوقعة فيه : " .. واستغنى عسكر الإسلام من الأسرى والأموال والغنائم بحيث لا يقدر أحد يصف ذلك ، وما سلم من عسكر الفرنج سوى قمّص طرابلس مع أربعة نفر ، وهو مجروح ثلاث جراحات – مات بعدها بقليل – وأخذ جميع أمراء الفرنج ، وكم قد سبي من النساء والأطفال ، يباع الرجل وزوجته وأولاده ثلاث بين وابنتان بثمانين ديناراً .. وأخذ من البقر والغنم والخيل والبغال ما لم يجيء من يشتريها من كثرة السبي والغنائم".

في الحقيقة؛ لم تكن هزيمة الصليبيين في حطين هزيمة طبيعية، وإنما كانت كارثة حلت بهم؛ حيث فقدوا زهرة فرسانهم، وقُتلت منهم أعداد هائلة، ووقع في الأسر مثلها، حتى قيل: إن من شاهد القتلى قال: ما هناك أسير، ومن عاين الأسرى قال: ما هناك قتيل.

والجدير بالإشارة؛ أن أحداث هذه المعركة أسفرت عن الاستفادة من الإستراتيجية العسكرية الإسلامية، من خلال دراسة السيرة النبوية، فلقد كانت مقدمات النصر في حطين أن نزلت الجيوش- بما فيها جيش مصر- بالقرب من الماء كما حدث قديمًا مع بدر.

ومما لا شك فيه؛أن صلاح الدين أحرز في موقعة (حطين) نصراً بيناً على الصليبيين فأصبح من السهل عليه أن يوالي انتصاراته عليهم بعد أن أباد معظم جيشهم.

المصادر والمراجع

-ابن شداد: (القاضي بهاء الدين ت٦٣٢ هـ/١٢٣٤م) ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق جمال الدين الشيال ، مكتبة الخانجي ، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩٤.

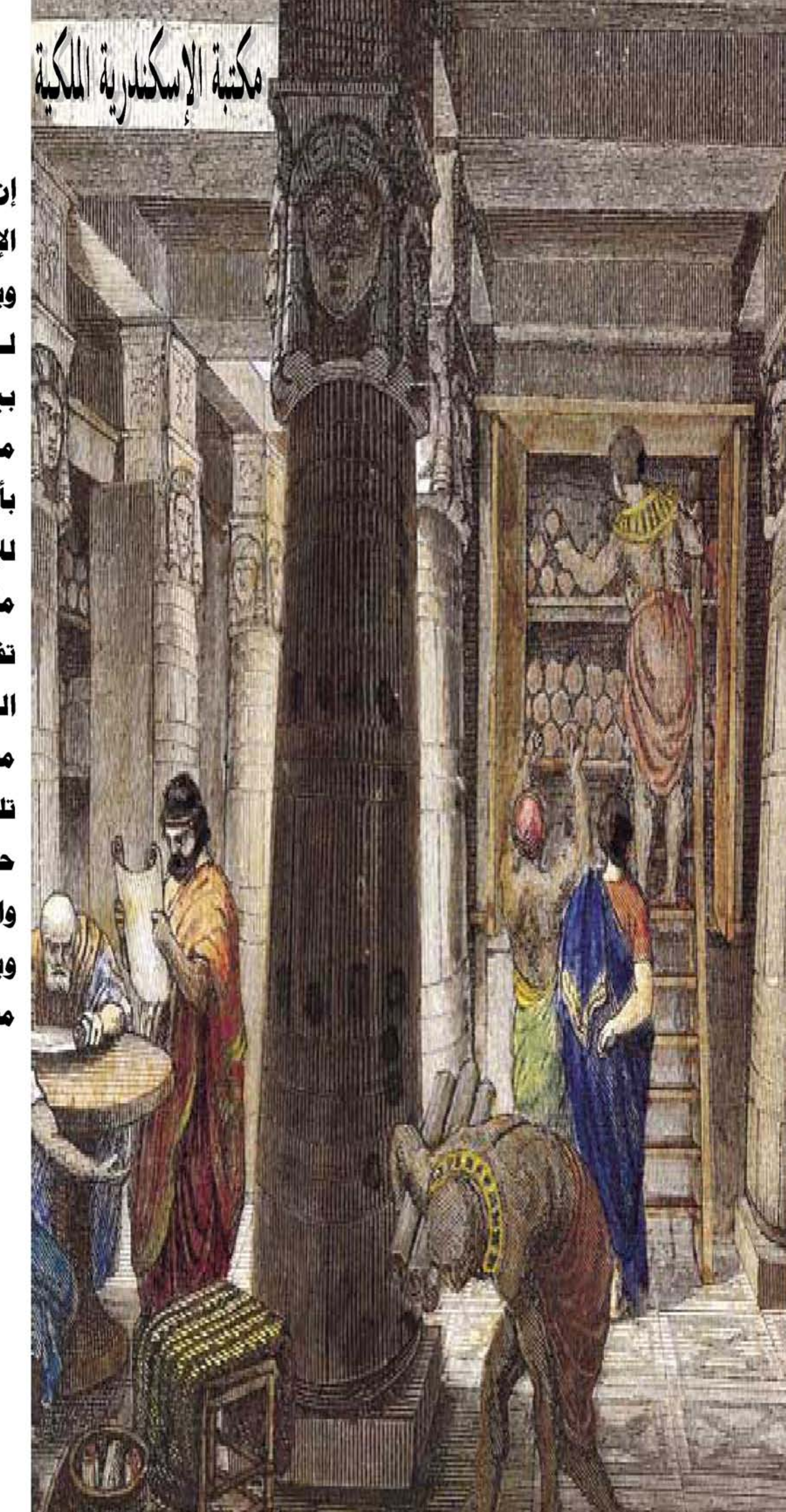
-وليد نويهض،صلاح الدين الأيوبي: سقوط القدس وتحريرها، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٧.

-Benvenisti: (Meron), City of Stone the Hidden History of Jerusalem, University of California press, London 1996

المواقع الإلكترونية

-أحمد تمام، في الطريق إلى بيت المقدس،موقع اسلام أون لاين، قسم حدث في العام الهجري، متاح بتاريخ ٢٠٠٨/٤/١ على الرابط:
http://www.islamonline.net/Arabic/history/1422/07/article15a.SHTML

-جاد محمد رمضان، "جهاد المسلمين ضد الصليبيين"، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ٥٩،متاح بتاريخ ٢٠٠٨/٤/٢ على الرابط : **http://www.iu.edu.sa/magazine/59/19.htm**



إن مجرد ذكر اسم مكتبة الإسكندرية يثير الخيال، ويذكرنا بالماضي العظيم لتراث مشترك، ليس فقط بين اليونان ومصر؛ ولا حتى منطقة البحر المتوسط بأسرها، ولكنه تراث مشترك للإنسانية جمعاء، إذ إنه في مكتبة الإسكندرية القديمة تفتحت أعظم تجارب العقل البشري منذ ٢٣٠٠عام مضى، نجح الإسكندر الأكبر، تلميذ أرسطو في أن يحقق حلمه الخاص بالثقافة والفتوحات، وتوحيد العالم وبدء عصر جديد على أرض مصر الخالدة.

إسراء محمد عبد ربه

كاتبة وباحثة

عضو هيئة التحرير

e-m83@hotmail.com

عُرفت باسم مكتبة الإسكندرية المَلَكية أو المكتبة العظمى أو ببساطة مكتبة الإسكندرية أو أكبر مكتبات عصرها، ولما اختار الإسكندر موقعاً لعاصمته الجديدة وهي الإسكندرية، وقام خلفاؤه في مصر وهم البطالمة ببناء مدينة الإسكندرية وجعلوها العاصمة الثقافية للعالم، كانت منارة الإسكندرية إحدى عجائب الدنيا السبع القديمة ، إلا أن التراث الأعظم للمدينة تمثل في مكتبة الإسكندرية القديمة، التي يرجع الفضل في تأسيسها إلى بطلميوس الأول (المعروف باسم سوتر)، الذي عهد إلى ديميتريوس الفاليري بمهمة الإشراف والتنفيذ وكان ذلك في عام ٢٨٨ قبل الميلاد. وكان معبد ربات الفنون، أو الموسيون (في اللغة اليونانية)، أو المتحف (في اللغة اللاتينية)، يتكون من أكاديمية للعلوم، ومركز للأبحاث، ومكتبة توافد عليها أعظم مفكري ذلك العصر، كما توافد عليها العلماء والرياضيون والشعراء من كل الحضارات للدراسة وتبادل الأفكار.

وقد امتلأت أرفف المكتبة بما يقرب من ٧٠٠ الف لفافة، أي ما يعادل أكثر من ١٠٠الف كتاب من الكتب الحديثة المطبوعة. وقد شملت المكتبة كتبًا في كافة العلوم والفنون، وقد قُسِّمت إلى عشرة أقسام رئيسة هي:القانون، الفلسفة، التاريخ، الخطابة (البلاغة واللغة)، شعر الملاحم والشعر الغنائي، الشعر التمثيلي (التراجيديا والكوميديا)، الطب، العلوم الرياضية، العلوم الطبيعية، متفرقات.

علماء وأمناء المكتبة

كانت المكتبة تستقبل العلماء من كل الثقافات، كما كانت الفتيات والفتيان يدرسون بانتظام في المكتبة القديمة، فعلى أرض مكتبة الإسكندرية القديمة:

-كان أريستارخوس أول من قال بأن الأرض تدور حول الشمس، وذلك قبل ١٧٠٠عام من اكتشاف كوبرنيكوس لهذه الحقيقة.

-أثبت إيراتوسثينس أن الأرض كروية، وحسب محيط الأرض بدقة مذهلة. كما تحدث عن إمكانية الإبحار حول العالم ، وذلك قبل ١٧٠٠ عام من قيام كولومبوس برحلته الشهيرة.

-وضع هيبارخوس أول أطلس للنجوم، وحسب السنة الشمسية بدقة حيث بلغ الفارق ٦.٥٠ دقائق فقط.

-وضع الشاعر اليوناني العظيم كاليماخوس أول فهرس للكتب مقسمة تبعاً لمواضيعها ومؤلفيها، ولذلك اعتبر كاليماخوس أبا علم المكتبات Library science

-وضع إقليدس مبادئ علم الهندسة وهي نفسها المبادئ التي تُدرس في المدارس حول العالم حتى يومنا هذا.

-حدَّد هيروفيلوس المخ على أنه العضو المتحكم في جسم الإنسان، بادئاً بذلك عصراً جديداً في مجال الطب.

-حدَّد مانيثو تواريخ حكام مصر الفراعنة وقسَّم التاريخ المصري حسب الأسرات، وهو ذات التصنيف الذي نستخدمه حتى يومنا هذا

-وضع زينودوتيس، مع علماء اللغة، أُسس علوم الأدب، مع تحرير ونقد دقيق للكلاسيكيات، وعلى وجه الخصوص إلياذة هوميروس الشهيرة، والأوديسا.

-وتمتد قائمة الأسماء العظيمة وأعمالهم الخالدة إلى ما لا نهاية... وتتضمن علماء عظاماً من أمثال ديوفانتس، وأبولونيوس، وهيرون، بالإضافة إلى العلماء الزائرين مثل أرشيميدس.





وقد كان زينودوتوس الأفيسي على الأرجح هو أول أمين للمكتبة. وكان على رأس الأشخاص الذين خدموا بالمكتبة ديمتريوس الفاليرى (حوالى ٢٨٤ ق.م) كما ورد في كتاب بارسون (مكتبة الإسكندرية : مجد العالم الهيليني : بزوغها وآثارها ودمارها) الذى حدد فيه أمناء المكتبة كما يلي :

١-	ديمتريوس الفاليرى	(حوالى ٢٨٤ ق. م)
٢-	زينودوتسى الأفسى	(٢٨٤ – ٢٦٠)
٣-	كاليماخوس البرقاوى	(٢٦٠ - ٢٤٠)
٤-	ابوللونيوس الرودسى	(٢٤٠ – ٢٣٥)
٥-	اراتواسثينس البرقاوى	(٢٣٥ – ١٩٥)
٦-	ارستوفانيس البيزنطى	(١٩٥ – ١٨٠)
٧-	ابوللونيوس ايدوجرافوس	(١٨٠ - ١٦٠)
٨-	اريستارخوس الساموتراقى	(١٦٠ – ١٤٥)

ومن الممكن أن يضاف إلى هذه القائمة اسم أمين أو يحذف منها آخر، ولكن هناك شبه اتفاق على هؤلاء الأشخاص. ومن ابرز الأدوار في مكتبة الإسكندرية كان دور كاليماخوس حيث أحتل كاليماخوس مكانة رفيعة بين أمناء مكتبة الإسكندرية فقد كان مؤلفا و شاعرا و كاتبا عن الرياح و الطيور و الأسماك، و كان أهم و أعظم أعماله هو فهرسه العام (فهرس مكتبة الإسكندرية) Pinakes Tablets الذي وضعه في ١٢٠ مجلد ا و الذي أعتبر أول عمل ببليوجرافي منظم وضع على أسس علمية سليمة.

وقد سجل فيه أسماء المؤلفين المعروفين في جميع فروع الأدب وقسمه حسب شهرة المؤلف كالتراجيديين و الكوميديين و الشرعيين .. و هكذا ثم رتب المؤلفين تحت كل اسم هجائيا و ترجم لكل مؤلف باختصار ثم اتبعه بثبت بمؤلفاته . وكان يصنف كل كتاب بذكر عنوانه واستهلاله و عدد أسطره فكانت تلك الفهارس أساسا لجميع الأعمال الببليوجرافية في العالم القديم .

هناك مجهوداً خرافياً بذل في فهرسة وتصنيف مقتنيات مكتبة الإسكندرية على يد كاليماخوس ومعاونيه، وكان كاليماخوس يوصف بأنه أبو الببليوجرافيا فقد أعد عدداً من الببليوجرافيات والفهارس من بينها قائمة بأعمال كتاب المسرحيات الأثينيين وقائمة بكتابات ديموقريطس .

ومما لا ريب فيه؛ أن أمناء مكتبة الإسكندرية، لقوا من أنواع المتاعب المكتبية مثلما يلقى الأمناء في المكتبات الجامعية الحديثة. إذ كان من الصعب التوفيق بين ما يطلبه عامة القراء والمتخصصون، بتوزيع الكتب بين المكتبة الأم والمكتبات المتخصصة.

ويرجع الفضل لهؤلاء العلماء والكثيرين غيرهم ممن كونوا مجتمع العلماء المذهل، في رسم خريطة الفضاء الخارجي والسماء المحيطة به، وتنظيم التقويم، وإرساء قواعد العلم، ودفع حدود معرفتنا إلى عوالم لم تكن معروفة من قبل. كما أنهم فتحوا آفاق ثقافات العالم، وأقاموا حواراً حقيقياً بين مختلف الحضارات. والواقع أنه في مكتبة الإسكندرية القديمة، قام٧٢ مترجماً متخصصاً بترجمة العهد القديم لأول مرة من العبرية إلى اليونانية (وهو النص الشهير المعروف باسم السبيتوجينت – أو الترجمة اليونانية للتوراة في القرن الثالث قبل الميلاد).

ومن خلال جهودهم المشتركة، نجح هؤلاء العلماء في الدعوة إلى العقلانية والتسامح والتفاهم، كما نظموا المعرفة العالمية.وأصبحت الإسكندرية لما يزيد على ستة قرون رمزاً لذروة العلم والتعلم. لذلك، تمكن العلماء أمثال كلوديوس، وبطلميوس، وديوسكوريديس من النهل من الثورة المعرفية وأضافوا إسهاماتهم.

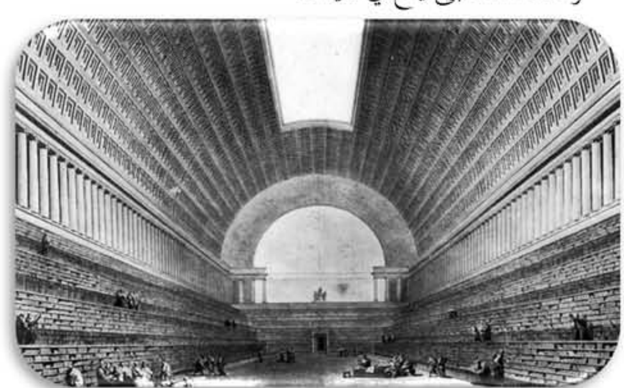
وحتى يومنا هذا، لا تزال مكتبة الإسكندرية ترمز إلى أنبل تطلعات العقل البشري، والوحدة العالمية لكافة الأديان، وأعظم إنجازات العقل البشري. ثم اندثرت المكتبة تماماً منذ ١٦٠٠ عام ولكنها استمرت في إلهام العلماء والمثقفين في كل مكان.

موقع ومباني المكتبة

قد خططت مدينة الإسكندرية تخطيطاً رائعاً على شوارع واسعة عريضة بزوايا قائمة على شوارع جانبية عريضة أيضاً، وغطيت معظم مبانيها بالرخام. وكانت باحات الشوارع تزين بالآثار التي يبرز بينها عدد كبير من المسلات وأبو الهول، وكانت المساكن حتى في المناطق المتواضعة تبنى من حجر ولا تستخدم فيها الأخشاب لمقاومة الحرائق. ولم تلبث المدينة أن توسعت خارج الأحياء الثلاثة الموجودة على الشريط الأساسي للمدينة، ونشأ خارج تلك المناطق أسواق تجارية كبيرة ومصانع مختلفة ومعاهد للثقافة والفكر أبرزها وأجملها مباني المعهد العلمي "الجمنلزيوم" ذات الأروقة المعمدة .

تكونت مكتبة الإسكندرية القديمة من ثلاثة مبان على الأقل:

١. المكتبة الأم، وتسمَّى "الموسيون" بمعنى المتحف وبها كان المرصد الفلكي، وهو المبنى الأصلي للمكتبة ومكانه في الحي الملكي بالإسكندرية.
٢. "المكتبة الابنة "وكانت تقع في السيرابيوم، في موقع معبد سيرابيس، إله العبادات الدينية بالإسكندرية. وكان السيرابيوم يقع في الجزء الجنوبي الغربي من المدينة، المعروف بالحي الشعبي.
٣. مبنى إضافي كان يستخدم بصفة عامة لتخزين الكتب، وكان هذا المبنى يقع في الميناء.



فالمكتبة كانت جزءا من الموسيون ولكنها و في مرحلة لاحقة اكتسبت أهمية وحجما كبيرين وبالتالي أصبح من الضروري إنشاء ملحق على مقربة منها.

ويعتقد أن الملحق أو "المكتبة الوليدة" أنشأت بأمر بطليموس الثالث إفيرغيتيس ، حيث أنشئ هذا الملحق على هضبة حي راكوتيس (والمعروف اليوم بحي كرموز)، في مكان من الإسكندرية بعيدا عن شاطئ البحر في معبد قديم شيّده البطالمة الأوائل للإله سيرابيس وسمي السرابيوم.

وكان المتحف جزءاً لا يتجزأ من القصور الملكية، وفيه ممشى عام، تنتشر على جانبيه مقاعد بالإضافة لبيت كبير يجتمع فيه العلماء من كل حدب وصوب. و لم يكن المتحف مكاناً لتجمع التحف بل كان في حقيقة الأمر أكاديمية كاملة للدرس والبحث العلمي، وكان العلماء يقيمون فيه بالمجان يدرسون ويبحثون ويكتبون في كل مجالات المعرفة البشرية

و لم يكن المتحف مكاناً لتجمع النباتات والحيوانات اللازمة للبحث والدرس، لكنه فوق ذلك كان المكان الذي لا نظير له في جمع وتنظيم أكبر مجموعة من مصادر المعلومات في العالم القديم من خلال المكتبة التي مثلت أحد ملحقات المتحف الأساسية وكانت ترتبط بمباني المتحف عن طريق بهو من أعمدة الرخام الأبيض وتضم عشر صالات واسعة، وكانت جدرانها مقسمة إلى خزانات مرقمة ومعنونة وفي كل خزانة ترتب الكتب التي تحوي الحكمة والعلم والمعرفة التي تراكمت عبر القرون.

وقد خصصت كل صالة من الصالات العشر لأحد فروع المعرفة البشرية حسب التصنيف العشري الهلليني للمعرفة، وقد أنشأ المكتبة مع نهاية عصر الكتاب اليونانيين العظام أرسطو وديموثر، وكانت أهم إنجاز في الحياة الفكرية على مستوى البشرية عندئذ.ومن أهم المنشآت التي تميزت بها الإسكندرية القديمة معبد السيرابيوم الذي أقيم على ربوة عالية في الحي المصري القديم"راقودة". وفي هذا المعبد كان المصريون واليونانيون على السواء يتعبدون في الصلوات الجماعية تحت قيادة كاهن واحد مشترك، ومن المعروف أن المكتبة الصغرى للإسكندرية كانت قد وضعت في هذا المعبد

وقد كان المتحف يمول بالكامل من قبل الدولة وكان العلماء والباحثون في المتحف يتقاضون إلى جانب الإقامة الكاملة من سكن وطعام وانتقالات رواتب شهرية كانت تتراوح ما بين "تالنت" واحد وخمسة "تالنت" شهرياً على حسب الدرجة والمقام. ورغم أن المتحف قد تأثر بالظروف السياسية باعتباره مؤسسة حكومية ممولة من قبل الدولة ويعين رئيسه ومديره والباحثون بموافقة الملك، إلا أنه لم يقف عن العمل وممارسة النشاط حتى بعد زوال ملك البطالمة ودخول مصر والإسكندرية حوزة الحكم الروماني ، استطاعت هذه المكتبة الصمود وعبور القرون مكتسبة كسابقتها شهرة وأهمية كبيرتين في شتى أرجاء العالم. و قد حافظ الأباطرة الرومان ، في ما بعد، على المكتبة وطوّروا تجهيزاتها بنظام تدفئة مركزية بمد أنابيب عبر الحيطان وذلك للحفاظ على جفاف الجو داخل المستودعات الأرضية.

وقد حرص الأباطرة الرومان هم الآخرون على استقطاب العناصر العالمة إلى المتحف وقد قام كثير من العلماء بإضافات علمية لها شأنها من بينهم "هيرون" الذي اخترع عدداً من الآلات الميكانيكية و"كلوديس بطليموس" عالم الفلك والجغرافي الشهير"جالينوس" و"فيلون"و"أفلوطين"أصحاب المذاهب الفلسفية المجددة. وسواء نشأ المتحف حول المكتبة أو كانت المكتبة تابعة للمتحف فقد كانت مؤسسة قائمة بذاتها وفاقت شهرتها شهرة المتحف نفسه.

مجموعات مكتبة الإسكندرية القديمة

وعندما عرف تجار الكتب أن هناك سوقاً للكتب في الإسكندرية أسرعوا إلى مصر لبيع أندر الكتب وأثمن الوثائق للبطالمة.كما كانت المكتبات الشخصية مجالاً خصباً لتغذية مكتبة الإسكندرية بمجموعات كبيرة كما هو الحال بالنسبة لمكتبة أرسطو ومكتبة تيوفراستوس.

ومن طرق الحصول على الكتب، تفتيش حمولات السفن التي كانت ترسو في ميناء الإسكندرية ومصادرة أية كتب توجد على متنها وتستنسخ منها نسخ فقط تعطى لأصحابها ويحتفظ بالأصول في المكتبة مع أية تعويضات تطلب إذا كانت هناك أية مشاكل في هذا الإجراء.ومن خلال هذه الطرق تجمع عدد ضخم من الكتب شمل الإنتاج الفكري اليوناني المكتوب كله، وربما تكون المكتبة الرئيسية قد ضاقت بما تجمع فيها من كتب، مما استدعى إنشاء مكتبة فرعية لها في معبد السيرابيوم. وليست هناك أرقام محددة عن حجم المجموعات أو عدد الكتب التي كانت موجودة في المكتبتين. وقد أعطى الكتاب الإغريق أرقاماً مختلفة عن عدد الكتب (اللفافات) التي كانت مقتناه في المكتبة،



ويجب أن نعرف أن اللفافة الواحدة قد تنطوي على عدد من الأعمال كما أن الكتاب الواحد قد يقع في عدد من اللفافات.وتشير الأرقام إلى أن المكتبة الرئيسية بالمتحف كانت تضم ٤٠٠ ألف لفافة غير مصنفة و٩٠ ألف لفافة و٨٠٠ مرتبة ومصنفة. وهذه الأرقام تسجل ما كانت عليه المجموعات في زمن كاليماخوس الذي توفي في سنة ما بين ٢٣٥و٢٤٠ق.م

وتؤكد الوثائق أن أقصى رقم وصلت إليه المجموعة هو ٧٠٠ ألف مجلد حتى القرن الأول قبل الميلاد، أي قبل الحريق الجزئي الذي عساه يكون قد وقع مع ضرب "يوليوس قيصر" للإسكندرية. ومن المؤسف أنه ليست لدينا أرقام مؤكدة بعد ذلك التاريخ وبعد تعويض كليوباترا كما قيل بمكتبة برجاموم بعد سقوطها في يد أنطونيو عام ٤١ق.م والتي قدرت بنحو ٢٠٠ ألف لفافة، وكانت فخراً للملوك الاتاليين، كذلك فمن الصعب معرفة الاتجاهات الموضوعية لمقتنيات المكتبة حيث لم يصلنا حتى الفهرس الذي وضعه كاليماخوس للمجموعات.

نهاية المكتبة القديمة

اختفت المكتبة تدريجياً، وعانت من الانهيار البطيء بدءاً من عصر قيصر وكليوباترا. وقد وقعت الكارثة الأولى للمكتبة في عام ٤٨ قبل الميلاد، وذلك عندما شب حريق غير متعمد في جزء المكتبة الواقع على الميناء خلال حرب يوليوس قيصر في الإسكندرية.

إلا أن مارك أنطونيو أهدى كليوباترا المائتين ألف لفافة التي كانت موجودة في مكتبة برجاما على سبيل التعويض للخسائر الفادحة التي نجمت عن الحريق. ولكن الاضطرابات العنيفة التالية التي حدثت داخل الإمبراطورية الرومانية أدت إلى الإهمال التدريجي، ثم الدمار الشامل للمكتبة.

دخلت الديانة المسيحية إلى إفريقيا عن طريق الإسكندرية على يد القديس مارك في القرن الأول الميلادي، وتبع ذلك أكبر حملة اضطهاد لا هوادة فيها للمسيحيين على أيدي الرومانيين في أول ثلاثة قرون ميلادية. وجاءت الجيوش الرومانية عدة مرات للإسكندرية في محاولة لاستعادة الأمن والنظام في الأعوام مابين ٢٠٠و٣٠٠ ميلادية.

وفي أثناء إحدى هذه الحملات (التي يُعتقد أنها حملة الإمبراطور أورليان في عام ٢٧٢ميلادية)، تم تدمير الجزء الأكبر من الحي الملكي ومبنى الموسيون. توقف اضطهاد المسيحيين عند دخول قسطنطين الأكبر في الديانة المسيحية، إلا أن الانشقاقات داخل الكنيسة اندلعت. وازدادت حدة الخلافات مما اضطر آباء الكنيسة المتسامحين أمثال القديس كليمنت أن يغادروا المدينة، في حين قاسى تلميذه أوريجون المصاعب بسبب آرائه. وفي عام٣٩١ ميلادية، أصدر الإمبراطور ثيوديسيوس مرسوماً بمنع أية ديانات أخرى غير الديانة المسيحية، وقامت الجماعات المسيحية تحت قيادة الأسقف ثيوفيلوس بحرق السيرابيوم في نفس العام. وحلت أكبر كارثة بمكتبة الإسكندرية حيث كانت تلك هي نهايتها كمركز للثقافة العامة.



استمر العلماء لفترة في التعايش بصعوبة مع عامة المسيحيين الذين كان يزداد لديهم الشعور العدواني يوماً بعد يوم. إلا أن المأساة وقعت في عام ٤١٥ميلادية حيث قام العامة بقتل هيباتيا بطريقة وحشية. كانت هيباتيا بنت العالم ثيون، آخر علماء الإسكندرية المُسجلين، وأول امرأة تبرع في علوم الرياضيات والفلك، كما كانت فيلسوفه من فلاسفة المدرسة الأفلاطونية الحديثة، بالإضافة إلى كونها خطيبة لبقة وفصيحة ذات تأثير قوي لدى المتلقين. وبموتها، أصبحت هيباتيا أول شهداء العلم. وعلى ذلك، ففي عام ٤٠٠ميلادية، كانت المكتبة قد اندثرت، وبعد سنوات قليلة اندثر عصر العلماء السكندريين. وهذا يعني أن المكتبة اختفت قبل ما يزيد عن قرنين من الزمان قبيل وصول الجيوش العربية الإسلامية في عام ٦٤١ميلادية.

ويعتقد بعض المؤرخين أنها صمدت حتى العام ٦٤٠م، حيث دمرت تماما إبان فترة حكم عمرو بن العاص لمصر. فللأسف إنّ كل المعلومات التي بحوزتنا عن مكتبة الإسكندرية تأتي من بضعة شهادات مختلفة ومتفرقة، مما يجعل تاريخ هذه المكتبة وصفتها وتنظيم العمل فيها وحتّى العدد الحقيقي للمجلدات التي احتوتها يفتقد إلى أي دقة علمية إذا ما رجعنا إلى الشروط

التي يجب أن يتخذها أي بحث علمي حسب علماء التاريخ.
فمن اللافت للنظر هنا أن كتب تواريخ الفتوح الإسلامية التي تناولت فتح مصر (البلاذري، والطبري، وابن عبدالحكم، ومن نقل عنهم من المتأخرين وأهمهم تقي الدين المقريزي)، لم يذكروا شيئًا عن مكتبة الإسكندرية القديمة، سواء ما يتعلق بوجودها، أو وجود أطلالها، حتى أي إشارات عن حرقها وتدميرها، على الرغم من اهتمام هذه المصادر بذكر تفاصيل الحصار لحصن بابليون، والمعارك التي جرت في الإسكندرية وغيرها، بل إن ابن عبدالحكم تحدث عن خطط الإسكندرية ولكنه لم يذكر شيئًا عن المكتبة أو غيرها من الملحقات مما يشير صراحة إلى أنها لم تكن موجودة، كما أن أطلالها كانت قد اندثرت.

وهنا ينبغي أن نشير أيضًا إلى أن المؤرخ الأسقف يوحنا النقيوسي، الذي كان شاهد عيان لأحداث الفتح الإسلامي لم يقل شيئًا عن أعمال عنف قام بها المسلمون ضد المكتبة على الرغم من أنه كان قاسيًا في الحديث عن المسلمين، ولم يكن متعاطفًا معهم بأي حال من الأحوال. كذلك لم يشر أي من المؤرخين المسيحيين الذين كتبوا عن تاريخ مصر، في سلسلة تمتد من أوائل الوجود الإسلامي في مصر حتى عصر سلاطين المماليك، إلى شيء يتعلق بمكتبة الإسكندرية القديمة (ساويرس بن المقفع، وابن العميد، ومفضل بن أبي الفضائل وغيرهم).

لكن المدهش أن أول ذكر لهذه القصة جاء على لسان عبد اللطيف البغدادي الذي زار مصر سنة ٥٩٥هـ/١٢٠٠م في عبارة قصيرة، ثم وردت رواية تفصيلية لدى أحد المؤلفين المسلمين، وهو ابن القفطي الذي كتب في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي يضع مسئولية حريق مكتبة الإسكندرية القديمة على عاتق المسلمين. وقد نقلها عنه باختصار المؤرخ المسيحي (ابن العبري) دونما تعليق بعد عقود قليلة من الزمان.

وقد أثارت رواية ابن القفطي، بتنويعاتها المختلفة، كثيرًا من المناقشات وحفزت كثيرًا من الدراسات والبحوث، فقد أخذها بعض المؤرخين الغربيين وسيلة للهجوم على الإسلام والمسلمين من ناحية، كما أخضعها نفر آخر من هؤلاء المؤرخين للبحث والدراسة وأثبتوا عدم صحتها من ناحية أخرى. وأسهم عدد من المؤرخين العرب المعاصرين في مناقشة الموضوع وبرهنوا على أن الرواية التي ساقها ابن القفطي بعد عدة قرون من الفتح مجرد قصة ركيكة رديئة التأليف ومليئة بالثغرات والثقوب، وبدا الأمر وكأن نار المناقشات حول مصير مكتبة الإسكندرية القديمة قد باتت رمادًا.

وعلى الرغم من تلاشيها، ظلت ذكرى المكتبة القديمة حية في الأذهان واستمرت في إلهام العلماء والمفكرين في كل بقاع العالم. كما ظل حلم إعادة بناء مكتبة الإسكندرية العظيمة يداعب مخيلة الكثيرين منهم...

المـــراجع

- مكتبة الإسكندرية الحريق والأحياء / شعبان عبد العزيز خليفة .- سلسلة كتاب الجمهورية لشهر إبريل ٢٠٠٢.
- مكتبة الإسكندرية/ ترجمة سلمى العشماوي.- ط.١. — الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٤.
- الكتب والمكتبات في العصور القديمة/ شعبان خليفة .- ط١ - القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٧.- (مجموعة الببليوجرافيا التاريخية).

المواقع الإلكترونية

- http://www.bibalex.org/Arabic/aba/index.html (Cited in1/9/2008)
- http://www.sis.gov.eg/Ar/Arts&Culture/alexlibrary/071100000000000001.htm (Cited in1/9/2008)
- http://www.altareekh.com/new/doc/modules.php?name=Content&pa=showpage&pid=1014&comm=0 (Cited in1/9/2008)
- http://www.arabworldbooks.com/bibliothecaAlexandrina.htm (Cited in1/9/2008)



حتى نلتقي ..

رسالة إلى مدرسي التاريخ والجغرافيا في مدارسنا

إن التاريخ هو استحضار الماضي لإعداد المستقبل وبنائه ولا خير في أمة ليس لها تاريخ تستمد منه شعورها بالعزة والكرامة والنخوة، فما بالنا ونحن خير أمة ولديها خير رجال سطَّر التاريخ بطولاتهم وضربوا الأمثال في الدفاع عن دينهم وأرضهم، لذا عمدت الصهيونية والصليبية إلى تزييف تاريخنا من أجل إفساد العقل الإسلامي. إن خلق جو من الانتقاص والاحتقار لدى طلابنا من شأنه أن يقطع الصلة بين أبناء الأمة وبين تاريخها ومجدها.

ففي مجال الجغرافيا تُدرس الاكتشافات الكبرى لفاسكودى جاما وغيره من الرواد الأوربين على أنها اكتشافات لها دوافع اقتصادية بالرغم أن دوافعهم الحقيقية هي تطويق العالم الإسلامي وإحكام القبضة عليه، ولمن يرد الاستزادة فليرجع إلى الرسالة التي وجهها البابا نيقولاس عام ١٤٥٤م إلى هنري الملاح.

إن المستشرقين امثال جولد تسهير وكافندش كانوا حريصين على محو هويتنا وللأسف ربوا جيلاً من أهلنا خرجوا علينا وعلى ديننا أمثال طه حسين الذي صور الفتنة الكبرى على أنها صراع بين جماعة من المحترفين السياسين وللأسف ما زال بعض من أساتذة الجامعة يستقون معلوماتهم عن التاريخ الإسلامي من المصادر الغربية المتعصبة.

لذا أناشد كل مسلم يتصدى لتدريس التاريخ الإسلامي لأبنائنا أن يكون ملماً إلماماً تاماً بملامح التفسير الإسلامي للتاريخ البشري متبعاً الأسلوب النقدي في التعامل مع الروايات التي تسردها المصادر الغربية وليتقوا الله في أبنائنا وفي أمتنا.

ألا قد بلغت ... اللهم فاشهد

التوحيد: مجلة إسلامية ثقافية شهرية، السنة (٢١)، العدد(٨)، شعبان١٤١٣هـ



كان التاريخية
Historical Kan Periodical
دورية إلكترونية - محكمة - ربع سنوية
تأسست في جمادى الأول ١٤٢٩ هجرية
متخصصة في الدراسات والبحوث التاريخية
رمضان كريم
داخل العدد ١
الأصول التاريخية لحركة الحشاشين
المغرب القديم في العصر الحجري
عروبة القدس.. الدليل التاريخي
الصورة الحية للإله أمون
معركة الجهاد الكبرى
السيف
و
التاريخ يضحك ..!
طرائف من كتب التاريخ
ملف العدد
مكتبة الإسكندرية المنكوبة
دورية كان التاريخية - السنة الأولى - العدد الأول سبتمبر ٢٠٠٨م/رمضان ١٤٢٩هـ



0020104492860